

اللهم عجل لوليك الفرج





الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبد الأمير السلامي

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن جواد

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

صفحات الوارث





إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ١٢١١ :٢٠٠٩

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org



شهر الأنوار

لا شك في حكمة الله تعالى إذ جعل ولادة الأنوار المقدسة في شهر شعبان الفضيل، ولكن لا يعني هذا أن الولادات الأخرى التي حصلت في أشهر أخرى أقل قداسة من هذه الولادات لما للولادة بذاتها من قداسة وفضل، وعلى هذا ازداد شهر شعبان فضلاً وازدان بحلة الأنوار فصار يباهي الأشهر الأخرى من السنة الهجرية.

كيف لا يتلألأ هذا الشهر وقد ولد في الثالث منه سبط الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة، وولد في الرابع منه حامل اللواء وكبش الكتيبة أبو الفضل العباس عليه السلام أما اليوم الخامس فقد ولد فيه قرة عين الناظرين وزين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ثم تابعهم في الولادة والحضور أبو الحسن علي الأكبر في اليوم الحادي عشر من شعبان المبارك ثم ختم حجة الله في الأرض وخليفته بالحق وصاحب العصر الحجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وهذه الأنوار المقدسة التي زينت هذا الشهر الفضيل هي من نعم الله تعالى على البشرية التي يجب شكر المنعم عليها، وذلك من خلال مولاتهم واتباعهم وإحياء أمرهم، فهنيئاً للمحبين والموالين هذه الولادات المباركة وهذه النعم والآلاء الإلهية.

المشرف العام

كرامات الإمام الحسين عليه السلام في صغره

لما ولد الحسين عليه السلام استبشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسمّاه حسيناً، وعقّ وتصدّق عنه، وكان يحبّه حبّاً شديداً بحيث (كان الحسين يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجدٌ، فيتخطى الصفوف حتى يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيركب ظهره، فيقوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد وضع يده على ظهر الحسين عليه السلام ويده الأخرى على ركبته حتى يفرغ من صلاته)[1] ومما يدل على حبّه إيّاه:

تكبير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتكبيره عليه السلام

١. روى ابن المغازلي بسندٍ يرفعه الى جابر، قال: كان الحسين بن علي أبطأ لسانه فصلّى خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم عيد، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (الله أكبر) فقال الحسين عليه السلام: (الله أكبر) فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (الله أكبر)، فقال الحسين عليه السلام: (الله أكبر) حتى كبّر سبعاً، فسكت الحسين فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قام في الثانية فقال: (الله أكبر) فقال الحسين عليه السلام: (الله أكبر) حتى كبّر سبعاً، فسكت الحسين عليه السلام، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسبب فاضل التكبير في العيدين ذلك[2].

٢. وروى الصدوق عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة، وقد كان الحسين عليه السلام أبطأ عن الكلام، حتى تخوّفوا أنه لا يتكلّم وأن يكون به خرس، فخرج صلى الله عليه وآله وسلم به حاملاً على عاتقه وصفّ الناس خلفه، فأقامه على يمينه فافتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة فكبر الحسين عليه السلام، فلمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكبيره عاد فكبّر وكبّر الحسين عليه السلام، حتّى كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع تكبيرات، وكبّر الحسين عليه السلام، فجرت السنّة بذلك»[3].

٣. وروى الطوسي عن الحسين بن سعيد، عن النضر وفضالة، عن عبد الله بن سنان، عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في الصلاة والى جانبه الحسين بن علي عليهما السلام، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحر[4] الحسين عليه السلام التكبير، ثمّ كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحر الحسين عليه السلام التكبير، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبّر ويعالج الحسين عليه السلام التكبير فلم يحر حتى أكمل سبع تكبيرات، فأحار الحسين عليه السلام التكبير في السابعة»، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فصارت سنّةً»[5].

٤. وروى الحر العاملي عن الصدوق، عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد مثله إلاّ أنه ترك ذكر حفص[6].

٥. روى محمد بن الحسن باسناده عن محمد ابن الحسين، عن محمد بن عبد الله، عن زرارة عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جدّه

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٧٢.

(٢) احقاق الحق: ١١، ٢٩٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ١ / ٣٠٥، ح ٩١٧. وسائل الشيعة: ٤، ٧٢٢، ح٤.

(٤) لم يحر: لم يرجع ولم يرد. النهاية: ١، ٤٥٨.

(٥) التهذيب: ٢ / ٦٧، ح٢٤٣، المناقب لابن شهر آشوب: ٤، ٧٤، بحار الأنوار: ٢، ٦٧، و٤٣، ٣٠٧.

(٦) وسائل الشيعة: ٤، ٧٢١، ح١.

عن علي عليه السلام قال: «ما كان يكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العيدين إلاّ تكبيرة واحدة، حتى أبطأ لسان الحسين عليه السلام، فلما كان ذات يوم عيد ألبسته أمّه عليها السلام وأرسلته مع جده، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكبّر الحسين عليه السلام حين كبّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعاً، ثم قام في الثانية فكبّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكبّر الحسين عليه السلام حين كبّر خمساً، فجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنّة وثبتت السنّة إلى اليوم»[٧].

حفظ الملك له

روى المجلسي عن سلمان، قال: أهدي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطف من العنب في غير أوانه، فقال لي: «يا سلمان ائتيني بولديّ الحسن والحسين ليأكلا معي من هذا العنب».

قال سلمان: فذهبت أطرق عليهما منزل أمّهما فلم أرهما، فجئت فخبّرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فقام في طلبهما، فلم يجدهما فاضطرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووثب قائماً وهو يقول: «وا ولداه وا قرة عيناه، من يرشدني على ولديّ فله على الله الجنة»، فنزل جبرئيل من السماء وقال: يا محمد علام هذا الانزعاج؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «على ولديّ الحسن والحسين، فإني خائف عليهما من كيد اليهود».

فقال جبرئيل: يا محمد بل خف عليهما من كيد المنافقين، فإنّ كيدهم أشد من كيد اليهود، اعلم يا محمد أن ابنيك الحسن والحسين نائمان في حديقة بني الدحداح، فسار النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وقته وساعته إلى الحديقة وأنا معه حتى دخلنا الحديقة، وإذا هما نائمان قد اعتنق أحدهما الآخر، وثعبان في فيه طاقة ريحان يروح بها وجهيهما، فلما رأى الثعبان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألقى ما كان في فيه فقال: السلام عليك يا رسول الله، لست أنا ثعبان، ولكني ملك من ملائكة الكروبين، غفلت عن ذكر ربي طرفة عين، فغضب عليّ ربي ومسخني ثعباناً كما ترى، وطردني من السماء إلى الأرض، ولي منذ سنين كثيرة أقصد كريماً على الله فاسأله أن يشفع لي عند ربي، عسى أن يرحمني ويعيدني ملكاً كما كنت أولاً إنه على كل شيء قدير.

قال: فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ولديه يقبّلهما حتى استيقظا، فجلسا على ركبتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم النبي: «انظرا يا ولديّ هذا ملك من ملائكة الله الكروبيين قد غفل عن ذكر ربه طرفة عين، فجعله الله هكذا، وأنا مستشفع بكما إلى الله تعالى فاشفعا له»، فوثب الحسن والحسين عليهما السلام فاسبغا الوضوء وصلّيا ركعتين وقالا: «الله بحق جدّنا الجليل الحبيب محمد المصطفى، وبأبينا عليّ المرتضى، وبأمنا فاطمة الزهراء إلا ما رددته إلى حالته الأولى»، فما استتم دعاؤهما فإذا بجبرئيل قد نزل من السماء في رهط من الملائكة وبشّر ذلك الملك برضى الرب عنه وبردّه إلى سيرته الأولى، ثم رفعوا به إلى السماء وهم يسبّحون الله تعالى، ورجع جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو متبسم، وقال: يا رسول الله إنّ ذلك الملك يفتخر على ملائكة السبع السماوات ويقول لهم: من مثلي وأنا في شفاعة السيدين السبطين، الحسن والحسين[٨].

٧. روي عن مولانا الصادق عليه السلام ـ ورواه أبو هريرة وابن عباس أيضاً ـ: «أنّ فاطمة عادت رسول الله عند مرضه الذي عوفي منه ومعها الحسن والحسين، فاقبلا يغمزان مما يليهما من يد رسول الله حتى اضطجعا على عضديه وناما، فلما انتبها خرجا في ليلة ظلماء مدلهمة ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها، فسطع لهما نور، فلم يزالا يمشيان في ذلك النور ويتحدثان حتى أتيا حديقة بني النجار، فاضطجعا وناما، فانتبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نومه وطلبهما في منزل فاطمة فلم يكونا فيه، فقام على رجليه وهو يقول: الهي وسيدي ومولاي هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة، اللهم أنت وكيلي عليهما، اللهم إن كانا أخذا برّاً أو بحراً فاحفظهما وسلمها.

فنزل جبرئيل وقال: إن الله يقرؤك السلام، ويقول لك، لا تحزن ولا تغتم لهما، فإنهما فاضلان في الدنيا والآخرة وأبوهما أفضل منهما، هما نائمان في حديقة بني النجار وقد وكل الله بهما ملكاً، فسطع للنبي نور، فلم يزل يمضي في ذلك النور حتى أتى حديقة بني النجار، فإذا هما نائمان، والحسن معانق الحسين، وقد تقشّعت السماء فوقهما كطبق وهي تمطر كاشد مطر، وقد منع الله المطر منهما، وقد اكتنفتهما حيّة لها شعرات كآجام القصب، وجنحان جناح قد غطّت به الحسن، وجناح قد غطّت به الحسين، فأنسابت الحية وهي تقول: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أنّ هذان شبلا نبيك قد حفظتهما عليه، ودفعتهما إليه سالمين صحيحين.

فمكث النبي يقبّلهما حتى انتبها، فلما استيقظا حمل النبي الحسن، وحمل جبرئيل الحسين.

فقال أبو بكر: ادفعهما إلينا فقد أثقلاك!

فقال: أما [ان] أحدهما على جناح جبرئيل، والآخر على جناح ميكائيل.

فقال عمر: ادفع إليّ أحدهما اخفف عنك!

فقال: امض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك.

فقال أمير المؤمنين: ادفع إليّ احد شبلي وشبليك، فالتفت إلى الحسن فقال: يا حسن هل تمضي إلى كتف أبيك؟

فقال: والله يا جداه إنّ كتفك لا حبّ إليّ من كتف أبي. ثم التفت إلى الحسين فقال: يا حسين تمضي إلى كتف أبيك؟

فقال: «أنا أقول كما قال أخي».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نعم المطية مطيتكما، ونعم الراكبان أنتما فلما أتى المسجد قال: والله يا حبيبيّ لاشرفنكما بما شرفكما الله، ثم أمر منادياً ينادي في المدينة، فاجتمع الناس في المسجد، فقال يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قالوا: الحسن والحسين. فإنّ جدهما محمد، وجدتهما خديجة. ثم قال: يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس أمّاً وأباً، (وهكذا عما وعمة وخالا وخالة)»[٩][١٠].

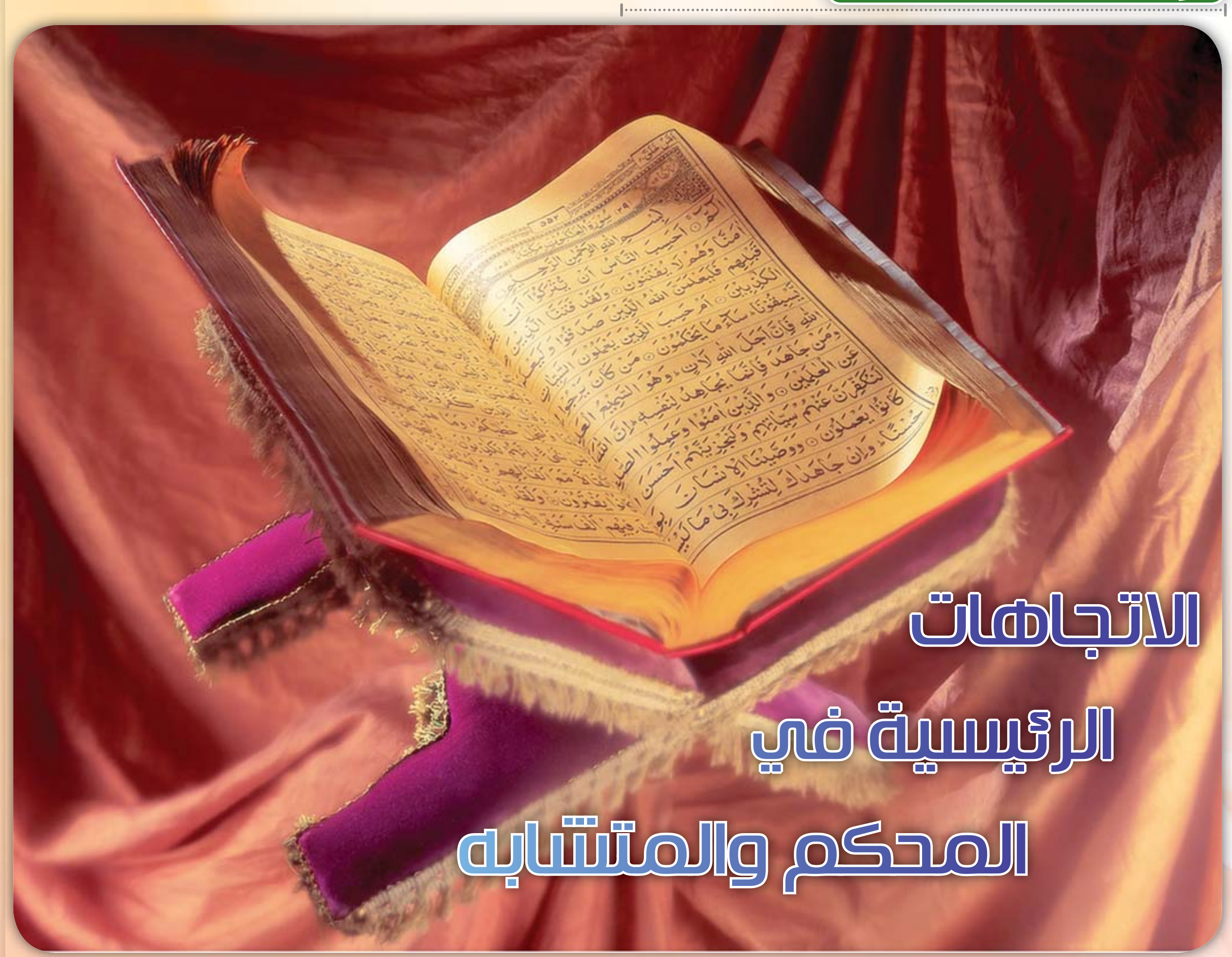
---

(٧) . التهذيب: ٣، ٢٨٦، ح٨٥٥. وسائل الشيعة: ٥، ١٠٨، ح١٥ وفيه محمد بن عبد الله بن زرارة.

(٨) بحار الأنوار: ٤٣، ٣١٣، العوالم: ١٦، ٦٦، ح٤، معالي السبطين: ١، ٨٣.

(٩) المناقب لابن شهر آشوب: ٤، ٢٦، بحار الأنوار: ٣٧، ٦٠، ح٢٩.

(١٠) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٧ - ١٠.



الاتجاهات الرئيسية في المحكم والمتشابه

١. اتجاه الفخر الرازي

الاتجاه الأول: ان المحكم هو ما يسمى في عرف الأصوليين بالمبين، والمتشابه ما يسمى في عرفهم بالمجمل. وقد جاءت صياغة هذا الاتجاه بأساليب مختلفة، ولعل ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير هو أوضح صياغة وأوفاها بالمقصود قال:

اللفظ الذي جعل موضوعاً لمعنى. فإما أن يكون محتملاً لغير ذلك المعنى، وإما أن لا يكون، فإذا كان اللفظ موضوعاً لمعنى ولا يكون محتملاً لغيره فهذا هو النص. وأما ان كان محتملاً لغيره فلا يخلو: إما أن يكون احتماله لأحدهما راجحاً على الآخر، وإما أن لا يكون كذلك بل يكون احتماله لهما على السواء. فإن كان احتماله لأحدهما راجحاً على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح «ظاهراً» وبالنسبة إلى المرجوح «مؤولاً». وإما إن كان احتماله لها على السوية كان اللفظ بالنسبة إليهما معاً «مشتركاً» وبالنسبة إلى كل واحد منهما على التعيين «مجملاً» فقد خرج من التقسيم الذي ذكرناه أن اللفظ إما أن يكون «نصاً» أو «ظاهراً» أو «مؤولاً» أو «مشتركاً» أو «مجملاً».

أما «النص» و «الظاهر» فيشتركان في حصول الترجيح، إلا أن نص راجح مانع من الغير، والظاهر راجح غير مانع من الغير، فهذا القدر المشترك هو المسمى «بالمحكم».

وأما المجمل والمؤول فهما مشتركان في أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة، وإن لم يكن راجحاً لكنه غير مرجوح. والمؤول مع أنه غير راجح فهو مرجوح، لا بحسب الدليل المنفرد[1]، فهذا القدر المشترك هو المسمى «المتشابه» لأن عدم الفهم حاصل في القسمين جميعاً

وقد بينا أن ذلك يسمى متشابهاً، اما لأن الذي لا يعلم يكون النفي فيه مشابهاً للإثبات في الذهن، واما لأجل أن الذي يحصل فيه التشابه يصير غير معلوم فأطلق لفظ المتشابه على مالا يعلم إطلاقاً لا سم السبب على المسبب. ويمكن أن نلخص رأي الرازي بالشكل التالي:

اللفظ بحسب دلالته على المعنى ينقسم إلى أربعة اقسام:

أ. النص: وهو ما كانت دلالته على المعنى بالشكل الذي لا تفسح مجالاً لاحتمال معنى آخر.

ب. الظاهر: وهو ما كانت دلالته على المعنى بشكل الذي راجح مع احتمال معنى آخر.

جـ. المشترك والمجمل: وهو ما كان دالاً على معنيين بشكل متساو.

د. المؤول: وهو ما كان دالاً على المعنى بشكل مرجوح فهو عكس الظاهر.

و «المحكم»: ما كانت دلالته على المعنى من القسم الأول والثاني لوجود الترجيح فيهما.

و«المتشابه»: ما كانت دلالته على المعنى

(١) يقصد بالدليل المفرد الدليل والقرينة الخارجية المنفردة عن الكلام واللفظ.

من القسم الثالث والرابع لاشتراكهما في أن دلالة اللفظ فيهما غير راجحة. وإنما سميا متشابهاً لعدم حصول فهم المعنى فيهما.

ويمكن أن نلاحظ على هذا الاتجاه بالملاحظتين التاليتين:

١. إننا انتهينا من دراستنا للآية الكريمة إلى ضرورة الالتزام بأن المتشابه المقصود فيها، هو التشابه في تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه، لا التشابه في علاقة اللفظ بالمعنى، بقرينة أخذ مفهوم الاتباع في المتشابه، وهو لا يتحقق في موارد الإجمال اللغوي.

٢. وحين نساير الفخر الرازي ونتصور التشابه بسبب علاقة اللفظ بالمعنى، لا نجد هنالك ما يبرر حصر نطاق التشابه في هذه العلاقة فحسب، بل يمكننا أن نتصور سبباً آخر للتشابه، وهو التشابه بسبب تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه. والفخر الرازي بتقسيمه السابق يحاول أن يغلق علينا هذا الطريق، حيث لا يتصور التشابه إلا من زاوية علاقة اللفظ بالمعنى، مع انه يمكن أن يتصور أيضاً في علاقة المعنى بتشخيص مصاديقه الواقعية.

٢. اتجاه الراغب الاصفهاني

الاتجاه الثاني الذي ذهب إليه الراغب الاصفهاني وهو: إن المتشابه ما اشكل تفسيره لمشابهته بغيره، سواء كان الإشكال من جهة اللفظ، أو من جهة المعنى. وقد ذكر الراغب تفاصيل طويلة في شرح هذا الاتجاه قال: «فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتها. والمتشابه من جهة اللفظ ضربان:

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما م جهة غرابته نحو الأب ويزفون، وإما م جهة مشاركة في اللفظ كاليد والعين، والثاني: يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب، ضرب لاختصار الكلام نحو «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ» وضرب لبسط الكلام نحو «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» لأنه لو قيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع. وضرب لنظم الكلام نحو «أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا» تقدير الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً، وقوله: «وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ» إلى قوله تعالى «لَوْ تَزَيَّلُوا» والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا إذا كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه أو لم يكن من جنس ما نحسه. والمتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعاً خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ».

والثاني: من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم».

والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ».

والرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا» وقوله: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ» فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح. وهذه الجملة إذا تصورت، علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم[٢].

ويلاحظ على هذا الاتجاه بالملاحظة الأولى التي ذكرناها في مناقشة الاتجاه الأول، ولكنه يتفادى الملاحظة الثانية حيث ينفتح على تصور التشابه بسبب المعنى بغض النظر عن اللفظ وعلاقته بالمعنى.

٣. اتجاه الأصم

الاتجاه الثالث: المحكم من الآيات ما كان دليله واضحاً لائحاً كدلائل الوحدانية والقدرة والحكمة. والمتشابهات ما يحتاج في معرفتها إلى تأمل وتدبر. وقد نسب الفخر الرازي هذا الاتجاه إلى الأصم[٣].

ويلاحظ على هذا الاتجاه: انه يرجع الاحكام والتشابه إلى عامل خارجي لا ينبع من نفس الكتاب الكريم. وهذا العامل الخارجي هو مدى وضوح الدليل وخفائه على متبنيات القرآن الكريم ومفاهيمه، في الوقت الذي تدل الآية الكريمة على أن الإحكام والتشابه ينشآن من عامل داخلي يرتبط بالكتاب نفسه. ولذلك ينفتح مجال استغلال اتباع المتشابه في الفتنة. وحين يكون الدليل على إحدى دعاوى القرآن الكريم غير واضح على سبيل الفرض. لا يكون استغلاله اتباعاً للقرآن ابتغاء الفتنة، وإنما يكون نقداً للقرآن الكريم نفسه.

أضف إلى ذلك أن على أساس هذا التفسير للمحكم لا يمكننا أن نفهم المحكم على أنه أم الكتاب بعد أن كان الدليل الخارجي هو العامل في الاتقان والوثوق لا نفس الآية الكريمة.

٤. اتجاه إبن عباس

الاتجاه الرابع: ان المحكم ما يؤمن به ويعمل به. والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به. وقد صيغ هذا الاتجاه بأساليب مختلفة نسب بعضهما إلى ابن عباس إلى إبن تيمية[٤] وقد ورد، هذا التفسير للمحكم المتشابه في بعض النصوص المروية عن أهل البيت عليهم السلام.

ولعل هذا الاتجاه يقوم على أساس فهم حرمة العمل بالمتشابه من الآية الكريمة ولزوم الإيمان به فحسب، بخلاف المحكم فإنه مما يؤمن به ويعمل به أيضاً.

وقد لاحظ العلامة الطباطبائي على هذا الاتجاه بأنه لا يقوم بتحديد معنى المحكم والمتشابه ـ كما هو المقصود ـ وإنما يبين حكماً من أحكامها، وهو لزوم الإيمان والعمل معاً بالمحكم والإيمان فقط بالمتشابه. ونحن بحاجة إلى تعيين معنى كل واحد من المحكم والمتشابه في المرحلة الأولى ليمكن ترتيب الأثر عليهما لنعمل بالأول ونكتفي بالإيمان بالثاني[٥].

ويمكن أن نضيف إلى ذلك. أن الآية الكريمة لا تمنع من العمل بالمتشابه وإنما تحرم اتباع المتشابه بقصد الفتنة والتأويل دون العمل به بعد إرجاعه إلى المحكم. ولعل هذا هو المقصود من حرمة العمل بالمتشابه أي حرمة العمل به وحده دون إرجاعه إلى المحكم.

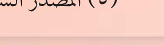
---

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني / مادة شبه.

(٣) الفخر الرازي ـ التفسير الكبير ٧/ ١٧٢.

(٤) العلامة الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن ٣/ ٣٣.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٣٦.




المجتمع والطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة

القسم السادس:

الولاة

إنهم رجال الإدارة، وأيدي الحاكم التي تمتد في أطراف بلاده، والإدارة التي يستعين بها على تنفيذ أمره، وإمضاء ما يريد إمضاءه من الشؤون. وهم المرآة التي ينظر بها الرعية إليه. وأعمالهم تنسب إليه وتحمل عليه، ويناله خيرها وشرها.

والوجدان الطبقي لهذه الطبقة ينزع بها نحو التسلط الناشيء من تصورات القوة والهيبة والنفوذ، ويصبح هذا الوجدان خطرا وبيلا إذا عبر عن نفسه في غير موضعه، وجرى في غير أقنيته.

لهذا وذلك: ولمكان الخطر فيهم، ومبلغ الفائدة منهم، احتاط لهم الإمام واحتاط منهم، فوضع الشروط التي ينتخبون على أساسها، والطريقة التي يعاملون بها، و«الكوابح» التي تردعهم عن أن يسيئوا سلطانهم وأن يخرجوا به عما أنشئ لأجله من منفعة الرعية إلى استغلاله في سبيل المنافع الخاصة، والمصالح الشخصية.

لا يدخل في هذه الطبقة كل من شاء له الحاكم أن يدخل، وإنما يدخل فيها من خبر المجتمع عن كثب، فعرف حاجاته، وتبين نقائصه، فإنسان كهذا إذا ولي عملا مضى فيه على بصيرة، فلا يرتجل الخطط إرتجالاً دون أن يعي حاجات المجتمع، ويلبي في خططه ومنهجه هذه الحجات.

وإلى جانب التجربة والخبرة العملية يجب أن يتوفر له مستوى عال من الأخلاق، فهو كما قلنا، المرآة التي ينظر بها الشعب إلى الحاكم، ولذلك فينبغي أن يكون على خلق رفيع يمسكه عن الشطط ومجانبة العدل، ويستقيم به على الجادة، ويؤم به قصد السبيل. فالحياء خلق يجب أن يتوفر فيه، والحياء هنا ليس على معناه المبتذل، وإنما هو الحياة من النفس... من تلويثها بالظلم والعدوان والتهاون في القيام بالواجب، وهذا الخلق يدفع بصاحبه دائما إلى التعالي والتسامي.

ويجب أن تتوفر فيه صفة القناعة، بأن لا يلوث نفسه برذيلة الطمع التي توشك أن تنقلب إلى حقيقة خارجية حين تجد لها محلا في نفس الإنسان، وصدى في تصوراته.

وإلى جانب هذه الميزات يجب أن يجمع بعد النظر، وأصالة الفكر، فهذه الصفات ضرورية لمن أنيط به أمر جماعة من الناس واعتبر مسؤولا عن أمنهم ونشاطهم الإجتماعي.

ولم يكن في زمن الإمام عليه السلام مدارس تعد الموظفين الإداريين، وتلقنهم الثقافة الإدارية، لذلك أرشد الإمام الحاكم إلى اختيار هؤلاء من بين أبناء الأسر المحافظة على التقاليد، الآخذة أبنائها بطراز عال من التربية، العاملة على تنشئتهم تنشئة نموذجية.

قال عليه السلام: (... وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إسرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً).

ويخضع هؤلاء الولاة في ولايتهم للاختيار، فحين ينتقيهم الحاكم ممن توفرت فيهم الشروط السابقة يجب عليه أن يوليهم اختباراً، فيرى، وقد عرف نظرياً، مدى كفاءاتهم، إلى كفاءاتهم في المجال العملي، فإذا اثبتوا أنهم أكفاء حقاً، وأنهم يعون مسؤوليات عملهم وآلياته ثبتوا وإلا عزلوا، واستبدل بهم غيرهم.

لهذا المبدأ، مبدأ الاختبار، يجب أن تخضع اختيار الولاة، أما أن يوليهم الأعمال تحبباً إليهم، ودون أن يستشير في أمرهم، ودون أن يعرف مدى كفاءاتهم، فذلك جور عن الحق، وانحراف عن الجادة، وخيانة للأمة في مصالحها، فإن مصالح الأمة أمانة في يد الحاكم يجب أن يسلمها إلى أكفأ ولاته.

ومن هنا نعلم أن القوانين الحديثة التي تنص على وجوب خضوع الموظف الإداري الحديث العهد بالوظيفة لفترة اختبار تطول وتقصر، لم تأت بجديد، فقد أدرك الإمام قبلها بقرون هذه الحقيقة وسجلها في قانونه العظيم.

قال عليه السلام:(ثم انظر في أمور عمالك فولهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة).





وليس يكفي في حسـن الظن بهم والركون إليهـم مراعاة الدقـة في انتخابهم، فـإن الوجدان الطبقـي لهـؤلاء ينزع بهـم نحو التسـلط وإظهار القـوة، وحـين يجري هذا الوجـدان في غير أقنيته يصـير خطراً على الرعية، لأنـه صاحبه حينئذ إلى الإنحراف والزيغ.

لأجـل هذا يقرر الإمـام أن على الحاكم ألا يغفل عـن تعقب هذه الطبقـة ومراقبتها، فيلزمه بانتخاب رقباء مـن أهل الدين والمعرفة والأمانة يبثهـم في أطـراف البلاد، ويجعلهـم عيوناً له على عماله، يراقبونهـم في أعمالهم، ويرصدون مبلغ ما يتمتع به هؤلاء الولاة من خبرة في الإدارة، وقدرة على التنظيـم، ومعرفة بوجـوه الإصلاح، ثم يرفعون ذلك كله إلى الحاكم فينكل بالمنحرف الذي خان أمانته، ويستأديه ما حاز لنفسه من أموال المسلمين، ويجعله عبرة لغيره. ويشجع الصالح في نفسـه، الصالح في عمله. ويرشـد المخطئ إلى وجه الصواب.

إن هـذا التدبـير يمسـك الـوالي عـن الإشراف، ويحملـه على العدل في الرعية؛ لأنه حين يعلم أن ثمـة عيناً ترقب أفعاله يحذر من الخـروج عن الجـادة، ويحـرص على إتبـاع ما يصلح بلاده. وهذا التدبير الذي نهجه الإمام هـو نظـام التفتيش المعمول بـه الآن في الدول المعاصرة.

قال عليه السـلام:(.. ثـم تفقد أعمالهم، وابعـث العيـون مـن أهـل الصـدق والأمانة عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهـم في اسـتعمل الأمانـة، والرفـق بالرعيـة. وتحفـظ من الأعـوان، فـإن أحد منهم بسـط يـده إلى خيانة اجتمعت بهـا عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً. فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثـم نصبتـه بمقـام المذلـة، ووسـمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة).

ولقـد كان الإمـام عليه السـلام يحرص أشـد الحرص عـلى إتبـاع هذا الأسـلوب مع ولاتـه، ففي نهج البلاغة طائفة كبيرة من كتبه إلى عمالـه تـدور كلها حـول هذا المعنـى، فيها تنديـد بخيانـة، وعزل عن ولايـة، وزجر عن ظلم الرعية، وفيها توجيه وإرشاد ونصيحة.

قال عليه السلام: (.... وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمـن فوقك، وليس لـك أن تفتات في رعيـة، ولا تخاطـر إلا بوثيقة، وفي يديك مال مـن مال الله عز وجل، وأنت من خزانه حتى تسلمه إليّ).

وقـال: (... فإن دهاقين أهل بلدك شـكوا منـك غلظة وقسـوة واحتقاراً وجفـوة. ونظرت فلـم أرهـم أهـلاً لأن يدنـوا لشركهـم، ولا أن يقصـوا ويجفـوا لعهدهم، فالبس لهـم جلباباً من اللـين تشـوبه بطرف مـن الشـدة وداول لهم بين القسوة والرأفة).

وقـال: (بلغنـي عنك أمـر إن كنـت فعلته فقد أسـخطت ربك وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتـك. بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلـت ما تحت يديك، فارفع إلي حسابك).

قـال: (بلغني عنك أمـر إن كنت فعلته فقد أسـخطت إلهك، وأغضبت إمامك: إنك تقسـم فيء المسـلمين الـذي حازته رماحهـم وخيولهم، وأريقـت عليـه دماؤهـم، فيمـن إعتامـك مـن أعـراب قومك، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسـمة لئـن كان ذلـك حقـاً لتجـدن بـك علـيَّ هوانـاً، ولتخفن عندي ميزاناً).

وقـد كانـت شرور هـذه الطبقة هـي التي سـببت الثـورة عـلى عثمان فقـد ولى عـلى البلاد الأحـداث مـن ذوي قرابته، ممـن لا خبرة لهم في الحكـم، ولا فاصـم لهم مـن ديـن، ولا ورع لهم عـن المحارم، فظلموا الرعيـة، وامتصوا دماءها، وكانت عاقبة ذلك وبالاً.

وعلى النقيض من هذا كانت سياسة الإمام مـع ولاتـه، فهـو ينتخبهـم انتخابـاً، ثـم يوليهم اختبـاراً، ثم يراقبهم ويحملهـم على الإصلاح ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

والعامـل الاقتصـادي أداة سـتخدمها الإمـام هنـا ـ كـما في كل موطـن ـ لأجـل ضمان استقامة الولاة على ماسنه لهم من شرائع العدل. ولذلـك لم يغفل الإمام عليه السـلام مـا للعامل الإقتصـادي مـن عظيـم الأثـر في إصـلاح هذه الطبقـة وإفسـادها، فقـد تدفـع الحاجـة أحدهم إلى الخيانـة والظلم، وهـم ـ كما عبر عنهم الإمام في بعـض كتبه: (خـزان الرعيـة، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة).

فلو ضيق عليهـم الحاكم في الرزق، ولم يرفه عليهـم في النعمـة، كان حرمانهـم مدعـاة إلى أن تطمح أعينهم إلى ما ائتمنوا عليه من مال، وذلك داعيـة إلى الرغبة في الخيانـة، واختلاس شيء من أموال الأمة.

لهـذا أشـار الإمـام عـلى حاكـم مـصر بأن يوسـع على الولاة في الرزق، لئلا يتخذوا الحاجة مبرراً للخيانة قال عليه السلام:(ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فـإن ذلـك قـوة لهـم عـلى اسـتصلاح أنفسـهم وغنـى لهـم عن تنـاول ما تحـت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوك، وثلموا أمانتك)[١].

---

(١) دراسات من نهج البلاغة ـ محمد مهدي شمس الدين ص ٨٥ ـ ٩٣.

دور المثقف



يتداخل عند الحديث عن الدور المنوط بالمثقف همان يلحان على أي مقارب لهذا الدور، وهما: ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، ولأنهما همان زمنيان أي متحولان فإن من الصعوبة الظفر بنقاط ثابتة، ويصبح النظر إلى دور المثقف رهين النقطة التي ابتدأ منها الحديث عنه، حتى إذا فارقتها أصبح الحديث عن دور آخر ينطلق من أساس مشابه للأول، وهكذا في حلقة تتداور بنياتها ولا تتبع الواحدة منها الأخرى، فهي كالأيونات المتحركة بين قطبي الدائرة الكهربائية تتضافر جميعها في إنتاج حركة دون أن يكون بينها غير المجاورة التي تصل كل وحدة بقطبها المخالف للآخر، سلباً وإيجاباً.

في الجانب الأول أي الإطار الإيجابي؛ وهو الذي يؤمن بداية بفعالية المثقف وأن له دوراً يقوم به في المجتمع، نجد غرامشي الذي يرى أن بإمكان كل الناس أن يكونوا مثقفين بالمعنى العام الذي هو أداء وظيفة اجتماعية في المجتمع، ولكن ليس لهم كلهم أن يؤدوا وظيفته في المجتمع. وهذا معناه أن التراكم المعرفي لا يخلق وحده مثقفاً، إذ لا يقاس دوره بحجم المعلومات المتوافرة في ذهنه، أو الأوسمة المعلقة على صدره، وإنما يقاس بمدى إسهاماته الجادة في مشروع الأمة الحضاري، أي: الفعل والإنتاج، ولا يتأتى له ذلك إلا بالسعي إلى إحداث تغيير في المناخ الأخلاقي، وذلك عندما يحتكم إلى منظومة فكرية تخوله لأن يكوّن حكماً معيارياً (Normative) أخلاقياً على أحداث وأوضاع مجتمعه والعالم المحيط به.

ومن هنا فهو لا يكتب لنفسه فقط، كما يقول إدوارد سعيد، وإنما يوجه خطابه إلى الرأي العام، وينخرط في مناقشة كل ما يتعلق بالمشروعية، أي بما هو جامع ومشترك، أو بما هو عالمي وكوني وهذا الدور أصيل عند الدارسين في تكوين المثقف ومتمم لدوره ولا أحد أولى من سواه باحتكار حق الكلام على الحق والحقيقة والمشروعية. فهذا شأن من شؤون المثقف، خاصة وأنه يعمل في حقل الإنتاج الرمزي والمعرفي، ويهتم بكل ما يتصل بمسألة الحق أو مشكلة الحقيقة.

الدور الفكري للمثقفين يجعلهم دائماً في تغاير مع أنماط التفكير السائد في مجتمعاتهم ومع طبيعة الموضوعات التي تكرسها مؤسسات المجتمع؛ فهم وظيفياً يشجبون الفساد ويدافعون عن الضعيف ويتحدون السلطة المعنوية أو القمعية، ويسعون إلى تنمية حرية الإنسان ومعرفته، ولكنهم عملياً هم في صدام مستمر مع الجميع تقريباً؛ فهم يرفضون السلطة وترفضهم، ويعجز من هم حولهم أن يروا فيهم ضحية لها، فهم ممزقون بين الواقع الاجتماعي الذي يفرض نواميسه ومجموعة القيم التي تبنوها وآمنوا بها.

ما سبق دفع بعض الدارسين إلى إنكار أن يكون دور المثقف محصوراً في معرفة الحقيقة أو تصدير وعيه بها للآخرين، فليست الحقيقة ما نقوله أو نعرفه أو نخبر به أو نبرهن عليه، وإنما هي ما ننشئه أو نصنعه أو نراهن على تغييره من العلاقات مع الأشياء والأحداث والأفكار. وهذا يقود إلى مراجعة الدور الذي يقوم به المثقف، وهي مراجعة تقع بالضرورة ضمن الجانب الثاني، أي المنظور السلبي للدور الذي يؤديه المثقف أو يتوهم أنه يقوم به حسب تعبير علي حرب. والسبب يعود إلى غياب الدور الحقيقي له، فالمثقف العربي لم يشارك في صناعة الرأي العام، وصوغ الوعي الجماعي، أو في التأثير في الدينامية والسيرورة التاريخية. من هنا لا تحس الجموع بفقده لأنّه لم يشكل

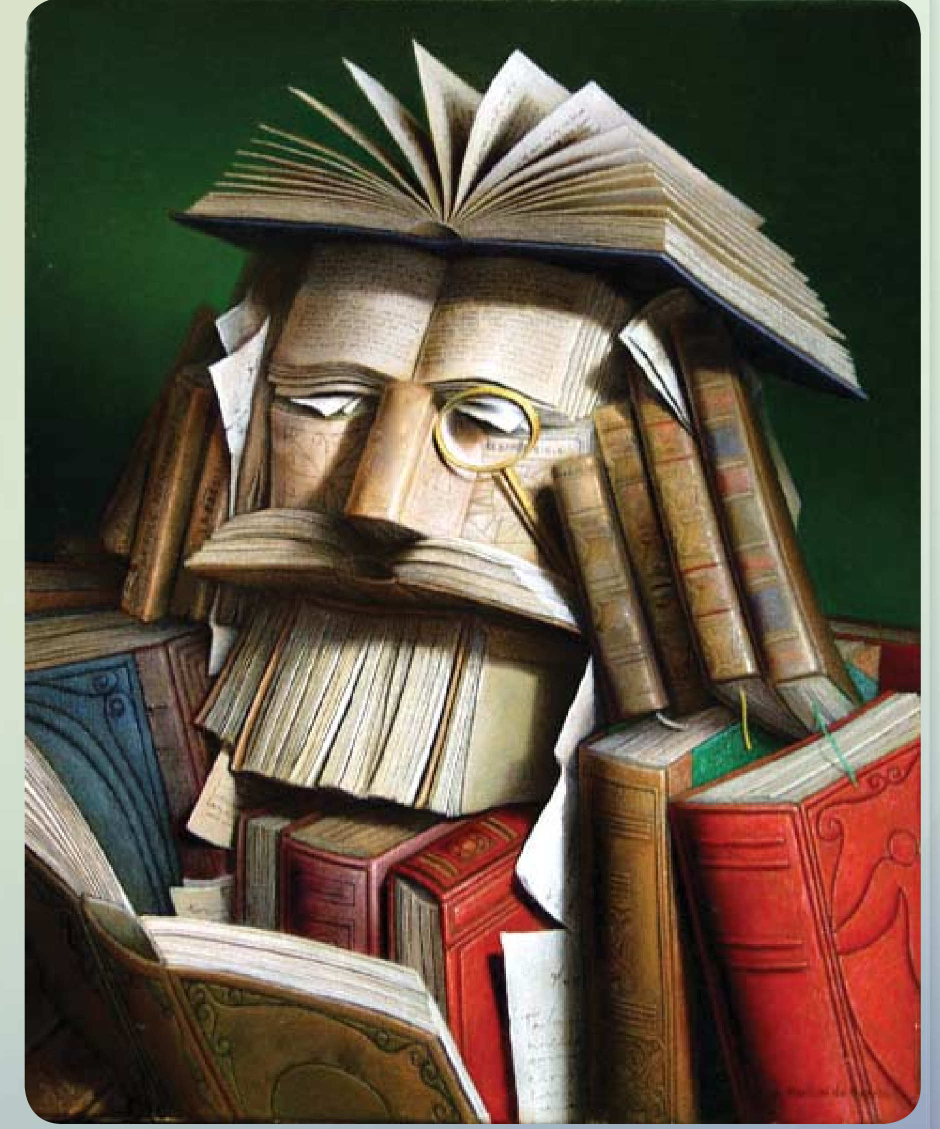
سلطة رمزية معترفاً بدورها وأهميتها ولم يحقّق شيئاً مما كان يسعى إلى تحقيقه أو يأمل حصوله. هذه السلبية لدور المثقف لم تلق قبولاً تاماً؛ إذ يرى بعضهم أنّ للمثقف العربي دوراً فاعلاً إزاء التحولات التي تشهدها الأمة ويشهدها العالم.

تعود النقطة المفصلية في التعارض السابق إلى المنظور الرؤيوي للمثقف ودوره؛ فالبعض كان ينطلق من نقطة متحركة بين الرفض والقبول، بمعنى أنّهم يتبنى أن يكون للمثقف دور على غرار ما لشبهه الغربي؛ أي أن يحدث تغيير في البنية الاجتماعية، ولكنّهم يرفضون أن يكون المثقف وصياً على الحقيقة، وقامعاً للحراك الفكري من حوله.

وقد تضاءل هذا الدور بسبب أن مثقفي ما بعد الحداثة أصبحوا يجلون الكفاءة لا القيم الإنسانية العامة مثل الحق أو الحرية. وقد وجد بعض الدارسين تماثلاً بين هذا الدور والدور المأزوم الذي يقوم به المثقف عندنا؛ فالجانب الاستشرافي للمثقف أصبح عبئاً عليه وعلى مجتمعه، ومن هنا فإن الحلول التي يطرحها لا تتوافق مع طبيعة المشكلات التي تمر بها الشعوب العربية. وفي أحسن حالات المثقف ـ كما يرى بعض الباحثين ـ فإن دوره يتداخل عندنا بدور الإصلاحي، فهما يشتركان في تناول ذات المواضيع، ويضع كل منهما أجوبة مختلفة عن القضايا المطروحة، مما أدّى ويؤدي إلى انفصال في المرجعيات الفكرية والثقافية، والى اختلاط في الوظائف والأدوار. وفي الجانب القاتم من الدور الذي اضطلع به بعض المثقفين، إما عن وعي أو عن غير وعي، دفعهم حماسهم لأفكارهم إلى القيام باستبدال سلطة مقبولة لديهم بأخرى مرفوضة من قبلهم. ويتحول دور المثقف إلى مجرد تبرير مصالح الجماعة التي ينتمي إليها وإضفاء الشرعية على سلطة القوى السياسية المهيمنة في المجتمع. وعربياً يؤكد بعض الباحثين أن المثقفين في ذروة إيمانهم بالنزعة التحررية الثورية لعبوا دوراً كبيراً في انهيار الحكم المدني، وفي إيجاد الأعذار لحكم العسكر تحت مظلة الدولة القومية المستقلة، وهذا ما جعل من هزيمة (١٩٦٧) تاريخاً مفصلياً في تفهم المثقف العربي لدوره المأزوم السابق، فقد كانت الهزيمة ـ على ما يرى بعضهم ـ هزيمة للمثقف العربي في قناعاته.

لعلّ المتأمل في كل ما طرح سابقاً عن دور المثقف، يدرك أنّ المثقف متحول في مفهومه ودوره أيضاً، فإذا قلنا بأنّ المثقف يقتصر دوره على تثبيت مواضعات مجتمعه وتكريس مفاهيم مرجعياته المؤسساتية من دين وسياسة واجتماع، فحتماً نحن نتكلم عن مفهوم مغاير لمثقف آخر، يسعى إلى خلخله الثوابت من حوله والعمل على إحداث تغيير في مآليف الأفراد، بل إن استطاع في المجتمع برمته، والمشكلة التي تواجه الراصد لهذين الدورين هي صعوبة تحديد نقاط تاريخية أو معرفية للوقوف على حركتهما. حتى إنّه يصح القول بأنّ هناك تحولاً في دور المثقف وليس انمحاء وهذا ما عبر عنه بوضوح ماكس فيبر عندما عد المثقف وسيطاً حضارياً وربط دوره بعملية عقلنة القيم والمثل.

ما يطرحه ماكس فيبر من الخطورة بمكان، وعملية العقلنة يكاد لا يسلم منها أي مثقف اليوم؛ فالجميع تقريباً يقوم بعملية العقلنة هذه، فجاك دريدا مثلاً الصدمة إلى منطق الفكرة، أي إخضاعها للعقل، ومن ثم يتم التعامل معها وفق معقولية بصرف النظر عن اتفاقه أو اختلافه مع النتائج التي أفضت إليها معالجة الفعل ورد الفعل، فدريدا لا يختلف كثيراً ـ ضمن هذه الآلية ـ عن الفقيه الذي يشرح لمريديه وتلاميذه تفاصيل انفلاق البحر إلى قسمين لموسى في النص القرآني، فكلاهما يقوم بعمل واحد، وهو إخضاع ما يتصور أنّه عصي على الفهم والإدراك إلى أرضيه مفهوميه تساعد على التعاطي معه وتبنّي موقف إزاءه[1].



(١) تمثيلات المثقف: ص٣٨ ــ ٤٠.

بإزاء كل واحدة من القوى الأربع لذة وألم

لما عرفت أن القوى في الإنسان أربع: قوة عقلية، وقوة وهمية خيالية، وقوة سبعية غضبية، وقوة بهيمية شهوية ــ فاعلم انه بإزاء كل واحدة منها لذة وألم، لأن اللذة إدراك الملائم، والألم إدراك غير الملائم، فلكل من الغرائز المدركة لذة هو نيله مقتضى طبعه الذي خلق لأجله، وألم هو إدراكه خلاف مقتضى طبعه.

(فغريزه العقل) لما خلقت لمعرفة حقائق الأمور، فلذتها في المعرفة والعلم، وألمها في الجهل، و(غريزة الغضب) لما خلقت للتشفي والانتقام فلذتها في الغلبة التي يقتضيها طبعها وألمها في عدمها، و(غريزة الشهوة) لما خلقت لتحصيل الغذاء الذي به قوام البدن، فلذتها في نيل الغذاء، وألمها في عدم نيله، وهكذا في غيرها، فاللذات والآلام أيضاً على أربعة أقسام: العقلية والخيالية والغضبية والبهيمية.

فاللذة العقلية كالانبساط الحاصل من معرفة الأشياء الكلية وإدراك الذوات المجردة النورية، والألم العقلي كالانقباض الحاصل من الجهل. واللذة الخيالية كالفرح الحاصل من إدراك الصور والمعاني الجزئية الملائمة، والألم الخيالي كإدراك غير الملائمة منها. واللذة المتعلقة بالقوة الغضبية كالانبساط الحاصل من الغلبة ونيل المناصب والرياسات، والألم المتعلق بها كالانقباض الحاصل من المغلوبية والعزل والمرؤسية. واللذة المتعلقة بالقوة الغضبية كالانبساط الحاصل من الغلبة ونيل المناصب والرياسات والألم المتعلق بها كالانقباض الحاصل من المغلوبية والعزل والمرؤسية.

واللذة البهيمية هي المدركة من الأكل والجماع وأمثالهما، والألم البهيمي ما يدرك من الجوع والعطش والحر والبرد وأشباهها. وهذه اللذات والآلام تصل إلى النفس وهي الملتذة والمتألمة حقيقة إلا أن كلا منها يصل إليها بواسطة القوة التي تتعلق بها. والفرق بين الكل ظاهر.

وربما يشتبه بين ما يتعلق بالوهم والخيال وما يتعلق بالقوة الغضبية من حيث اشتراكهما في الترتب على التخيل.

ويدفع الاشتباه بأن ما يتعلق بالغضبية وإن توقف على التخيل إلا أن المتأثر بالتذاذ والتألم بعد التخيل هو الغضبية وبواسطتها تتأثر النفس، ففي هذا النوع من اللذة والألم تتأثر الغضبية ثم تتأثر النفس.

وأما ما يتعلق بالوهم والخيال فالمتأثر بالالتذاذ والتألم هاتان القوتان ويصل التأثر منهما إلى النفس من دون توسط القوة الغضبية.

ومما يوضح الفرق أن الالتذاذ والتألم الخياليين لا يتوقفان على وجود غلبة ومغلوبية مثلاً في الخارج، وأما الغضبيان فيتوقفان عليها.

ثم أقوى اللذات هي العقلية لكونها فعلية ذاتية غير زائلة باختلاف الأحوال، وغيرها من اللذات الحسية انفعالية عرضية منفعلة زائلة، وهي في مبدأ الحال مرغوبة عند الطبيعة، وتتزايد بتزايد القوة الحيوانية، وتتضعف بضعفها إلى أن تنتفي بالمرة، ويظهر قبحها عند العقل، وأما العقلية فهي في البداية منتفية، لأن إدراكها لا يحصل إلا للنفوس الزكية المتحلية بالأخلاق المرضية، وبعد حصولها يظهر حسنها وشرفها، وتتزايد بتزايد القوة العقلية، إلى أن ينتهي إلى أقصى المراتب، ولا يكون نقص ولا زوال.

والعجب ممن ظن انحصار اللذة في الحسية وجعلها غاية كمال الإنسان وسعادته القصوى. والمتشرعون منهم قصّروا اللذات الآخرة على الجنة والحور والغلمان وأمثالها، وآلامها على النار والعقارب والحيات

وأشباهها، وجعلوا الوصول إلى الأولى والخلاص عن الثانية غاية لزهدهم وعبادتهم، وكأنهم لم يعلموا أن هذه عبادة الأجراء والعبيد، تركوا قليل المشتهيات ليصلوا إلى كيرها. وليت شعري أن ذلك كيف يدل على الكمال الحقيقي والقرب من الله سبحانه ولا أدري أن الباكي خوفاً من النار وشوقاً إلى اللذات الجسمية المطلوبة للنفس البهيمية كيف يعد من أهل التقرب إلى الله سبحانه ويستحق التعظيم ويوصف بعلو الرتبة! وكأنهم لم يدركوا الابتهاجات الروحانية ولا لذة المعرفة بالله وحبه وانسه ولم يسمعوا قول سيد الموحدين[1]: «الهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

وبالجلمة: لا ريب أن الإنسان في اللذة الجسمية يشارك الخنافس والديدان والهمج من الحيوان، وإنما يشابه الملائكة في البصيرة الباطنة والأخلاق الفاضلة، وكيف يرتضي العاقل أن يجعل النفس الناطقة الشريفة خادمة للنفس البهيمية الخسيسة.

والعجب من هؤلاء الجماعة مع هذا الاعتقاد يعظمون من يتنزه عن الشهوات الحيوانية ويستهين باللذات الحسية ويتخضعون له ويعدون أنفسهم أشقياء بالنسبة إليه، ويذعنون أنه أقرب الناس إلى الله سبحانه وأعلى رتبة منهم يتنزه عن الشهوات الطبيعية، وقد اتفق كلهم على تنزه مبدع الكل وتعاليه عنها مستدلين بلزوم النقص فيه لولاه، وكل ذلك يناقض رأيهم الأول.

والسر فيه أنهم وإن ذهبوا إلى هذا الرأي الفاسد إلا أنه لما كانت غريزة العقل فيهم بعد موجودة، وإن كانت ضعيفة، فيرى ما هو كمال حقيقي لجوهرهما كمالا، ويحكم بنورانيتها الذاتية، فيضطرهم إلى إكرام أهل التنزه عن الشهوات، والاستهانة بالمكبين عليها.

ومما يدل على قبح اللذات الحيوانية أن أهلها يكتمونها ويخفون ارتكابها ويستحيون عن إظهارها، وإذا وصفوا بذلك تتغير وجوههم، كما هو ظاهر من وصف الرجل بكثرة الأكل والجماع، ومع أن الجميل على الإطلاق يحسن إذاعته، وصاحبه يحب أن يظهره ويوصف به، هذا مع أن البديهة حاكمة بأن هذه اللذات ليست لذات حقيقية، بل هي دفع آلام حادثة للبدن فان ما يتخيل لذة عند الأكل والجماع إنما هو راحة من ألم الجوع ولذع المنى ولذا لا يلتذ الشبعان من الأكل، ومعلوم أن الراحة من الألم ليس كمالا وخيراً، إذ الكمال الحقيقي والخير المطلق ما يكون كمالا وخيراً أبداً[2].

(١) المعنى به هو أمير المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام.

(٢) جامع السعادات للنراقي: ٥٣ ــ ٥٧.

ضرورة بعثة الأنبياء والرسل لهداية الناس وإرشادهم

بعد أن تعرفنا على من هو النبي، ومن هو الرسول، ووجوب الاعتقاد بأصل النبوة كأصل ثالث من الأصول الإعتقادية، جاء الوقت لنتعرف فيه على بعض الأدلة المثبتة لضرورة ولزوم أن يبعث الله سبحانه للناس الأنبياء والرسل ويشرع لهم الشرائع، وهو ما قدم له العلماء والباحثون ومن قبلهم الأئمة عليهم السلام والقران الكريم، الأدلة الكثيرة والتي سنختار بعض منها فيما يلي من الكلام.

١. إرشاد الناس إلى الله سبحانه وإنقاذهم من ولاية الطواغيت

ان من أهم الأولويات التي اتخذها الأنبياء العظام عليهم السلام هي تعبيد الناس وتوجيههم نحو عبادة الله وطاعته وترك الخضوع والخنوع لأي موجود غيره بالغ ما بلغت أهميته وقوته وسلطنته، ويمكن أن يعد هذا الأمر السمة الرئيسة والشعار الموحد الذي رفعه جميع الأنبياء والرسل، وهو ما صرح به القران الكريم في قوله تعالى:(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ).

وليس هذا التأكيد والإصرار من قبل هؤلاء العظماء عليهم السلام على مسالة توحيد العبادة والطاعة لله جل وعلا وحده وعدم الرضوخ والطاعة لمن سواه مسالة شخصية ينتفع من ورائها الأنبياء والرسل او يصل نفعها او ضررها الى الذات الالهية المقدسة، لاننا اثبتنا في مباحث الصفات الإلهية ومباحث التوحيد التي مرت علينا فيما سبق، ان الذات الإلهية المقدسة غنية عن كل شيء وغير محتاجة لأي شيء، فالله سبحانه لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين، وكذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام فهم بدعوة الناس إلى توحيد الطاعة والعبادة لم يكونوا يطلبون على مشاقهم ومتاعبهم أجرا ماديا أو نفعا دنيويا، فهم أغنى الناس عن الناس وازهد الناس في ملاذ هذه الدنيا وزخرفها وزبرجها، فيثبت من هذا ان الأنبياء العظام والرسل الكرام عليهم السلام حينما كانوا يدعون الناس إلى توحيد الطاعة والعبادة لله وحده لا شريك له كانوا وبلا أدنى شك ناظرين الى مصلحتنا وما فيه خيرنا الدنيوي والأخروي، لان عدم الخضوع لغير الله سبحانه معناه عدم تسلط المتجبرين والظلمة على مقدرات العباد وأرزاقهم وأرواحهم وأعراضهم، وعدم تسلط هؤلاء على العباد معناه حياة العباد أحرار مكرمين ومعززين قال تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ).

إذن فيتلخص مما سبق ان المهمة الأساس لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام هي تكريم الإنسان وإعزازه وضمان عيشه حرا يملك اختياره لا يُستعبَد ولا يَستعبِد، وبهذا يعيش حياة كريمة هانئة.

٢. رفع الاختلاف

لا يشك أحد من الفلاسفة والباحثين في الحياة الإنسانية، في أن للإنسان ميلا إلى الاجتماع والتمدن، كما أن حاجة المجتمع إلى القانون مما لا يرتاب فيه، وذلك لأن الإنسان مجبول على حب الذات، وهذا يجره إلى تخصيص كل شيء لنفسه من دون أن يراعي لغيره حقا، ويؤدي ذلك إلى التنافس والتشاجر بين أبناء المجتمع وبالتالي إلى عقم الحياة وتلاشي أركان المجتمع، فلا يقوم للحياة الاجتماعية أساس إلا بوضع قانون دقيق ومحكم ومتكامل يقوم بتحديد وظائف كل فرد وحقوقه.

ولكن هذا القانون لابد أن يكون حاويا على عدة مزايا من حيث المقنن والمشرع لهذا القانون، ومن حيث نفس فقرات ونصوص ذلك القانون، فلابد أولا أن يكون المقنن عارفا بالإنسان: جسمه وروحه، غرائزه وفطرياته، وما يصلح لهذه الأمور أو يضر بها، وكلما تكاملت هذه المعرفة بالإنسان كان القانون ناجحا وناجعا في علاج مشاكله وإبلاغه إلى السعادة المتوخاة من إيجاده.

وثانيا: عدم انتفاع المقنن بالقانون وهذا الشرط بديهي، فإن المقنن إذا كان منتفعا من القانون الذي يضعه، سواء كان النفع عائدا إليه أو إلى من يمت إليه بصلة خاصة، فهذا القانون سيتم لصالح المقنن لا لصالح المجتمع، وستكون نتيجته الحتمية الظلم والإجحاف.

أما الشرط الأول: فإنا لن نجد في صفحة الوجود موجودا أعرف بالإنسان من خالقه، فإن صانع المصنوع أعرف به من غيره، يقول سبحانه: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ويقول سبحانه في آية أخرى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ).

وأما الشرط الثاني: فلن نجد أيضا موجودا مجردا عن أي فقر وحاجة وانتفاع سواه سبحانه، وقد بينا سابقا دليله وبرهانه.

فإذا كان استقرار الحياة الاجتماعية للبشر متوقفا على التقنين الإلهي، فواجب في حكمته تعالى إبلاغ تلك القوانين إليهم عبر واحد منهم يرسله إليهم، والحامل لرسالة الله سبحانه هو النبي المنبئ عنه والرسول المبلغ إلى الناس، فبعث الأنبياء واجب في حكمته تعالى حفظا للنظام المتوقف على التقنين الكامل.

وإلى هذا الدليل يشير قوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ).

٣. رفع مستوى المعرفة البشرية المادية منها والمعنوية

إن الإنسان كغيره من الموجودات الحية مجهز بهداية تكوينية كما قال تعالى في قصة فرعون ونبي موسى عليه السلام: (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ)، ولكن هذه الهداية التكوينية غير وافية ولا كافية في إبلاغه الغاية التي خلق لها، وهي الكمال والرقي عن طريق التوحيد والعبادة.

ولأجل ذلك ضم الخالق سبحانه وتعالى إلى تلك الغرائز مصباحا يضيء له السبيل في مسيرة الحياة، ويفي بحاجاته التي تقصر الغرائز عن إيفائها، وهو العقل. ومع ذلك كله فإن العقل أيضا لم يكن كافيا في إبلاغه إلى السعادة المتوخاة، ووجه ذلك أن العقل الإنساني غير مصون عن الخطأ والزلل، فاحتاج إلى عامل ثالث يعينه في بلوغ تلك الغاية، وليس هذا

العامل الثالث إلا النبوة والشريعة التي يأتي بها النبي إلى أمته ليأخذ بأيديهم إلى الكمال الذي عجز عن إيصالهم إليه كل من العقل والغرائز.

وقد أشارت الآيات القرآنية إلى هذه المهمة العظيمة في آيات كثيرة نخص بالذكر منها قوله سبحانه: (هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ).

وقوله سبحانه: (رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ).

٤. تنبيه العباد أن كمالهم فيما هو؟ وكم هو؟ وكيف هو؟ وأين هو؟ ومتى هو؟

وقد جمع محمد سعيد الراوندي في كتاب (عجالة المعرفة في أصول الدين) كل ما يمكن أن يقال في فوائد وعوائد بعثة الأنبياء والرسل بقوله: (تقتضي حكمة الصانع تعالى إعلام العبد أن كماله فيما هو؟ وكم هو؟ وكيف هو؟ وأين هو؟ ومتى هو؟ وهذه الأشياء مما لا تهتدي إليه عقول البشر، لأنها تفاصيل مقتضى العقل، لأنه يقتضي أن طلب الكمال حسن، والهرب من الهلاك واجب، وهو دفع المضرة: ولكنه لا يهتدي إلى طريق كل واحد منها ـ من الكمال والهلاك... فيختار الحكيم من يستعد لقبول تفاصيل الكمال، ولكن بواسطة الملائكة ـ الذين هم خواص حضرته فيفضي إليه ما هو سبب كمالهم، فيسمى «نبيا».

وقبوله من الملائكة يسمى «وحيا». وتبليغه إلى الخلق يسمى «نبوة». ولابد أن يكون ممن لا يغير ما يوحى إليه، ويؤمن عليه من الكذب، والتغيير، ويسمى «عصمة» وهي: لطف يختار عنده الطاعة، ويصرفه عن المعصية، مع قدرته على خلافه. فيظهر الله عليه من العلم ما يدل على صدقه بعد دعواه، ويكون ذلك خارقا للعادة، ومما يعجز عنه غيره، فيسمى «معجزا». وما يظهره من الطريق إلى النجاة والدرجات، يسمى «شريعة».

ثم لا تخلو تلك الشريعة من أن تتعلق بمصالح العبد آجلا، أو عاجلا: فالمصالح الآجلة تسمى «عبادات». والمصالح العاجلة تسمى «معاملات». كما هي مذكورة في كتب الفقه. فيضع كل أمر موضعه، ويعلم كل من يطلب مبدأه، ومعاده، والطريق إليه، وينظم الخلق على نظام مستقيم. وتلك الغاية التي يعلمنا أنها كمالنا، تسمى «معادا وآخرة».

ويعلمنا ـ أيضا ـ مقادير العبادات، والمعاملات، وكيفياتها، وأين يختص بالتوجه إليه؟ كالقبلة، ومتى يجب؟ كأوقات العبادات. ومتى خالفنا ذلك، إلى ماذا يصير أمرنا؟ ونهلك هلاكا دائما؟ أو منقطعا؟ هذه كلها مما لا يعلم إلا بواسطة.

فعلمنا أن الخلق محتاجون ـ في هذه الوجوه ـ إلى من يعلمهم هذه الأشياء. فلما ثبت ـ على الجملة ـ وجوب النبوة، بقي علينا أن نثبت نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وهو: أن الناس ضربان: ضرب منهم من ينكر النبوة، أصلا. ومنهم من يثبتها، ولكنه ينكر نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم. وقد بينا أن الدليل على صحة نبوة كل نبي العلم المعجز. وإذا تقرر هذا، فظهور معجز نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أجلى، وأمره في ذلك أعلى، فهو بالنبوة أولى. وهو: القرآن، الظاهر بين ظهراني البر والفاجر، والباهر بفصاحته على فصاحة كل ماهر. وغيره، مما ذكر أقله لا يحتمله هذا الموضع، فضلا عن أكثره. ولما ثبت ـ بالتجربة، وعليه البراهين المعقولة التي ليس هيهنا موضع ذكرها ـ أن الإنسان لا يبقى في الدنيا أبدا، فلا بد أن يرجع النبي إلى معاده، ويبقى بعده من يحتاج إلى هذه الأشياء وإلى النظام في أمور الخلق، فيفضي جميع ما تحتاج إليه أمته إلى من يؤمن عليه من التغيير والتبديل. وهو الكلام في الإمامة...).

فوائد البعثة ووجوبها في الروايات الشريفة كثيرة هي الأحاديث والروايات التي تحدثت عن مسالة الحاجة إلى بعثة الأنبياء والرسل إلى الناس كافة ووجوب أن يكون في كل امة رسول وفي كل قوم هادي، ولكننا سنختار روايتين على سبيل الاختصار والفائدة.

فعن الشيخ الكليني في كتابه الكافي بسنده عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الأنبياء والرسل؟ قال: (إنه لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها، غير مشاركين للناس ـ على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ـ في شيء من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته).

وعن منصور ابن حازم قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله، قال: صدقت، قلت: إن من عرف أن له ربا، فينبغي له أن يعرف أن لذلك الرب رضا وسخطا وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة وأن لهم الطاعة المفترضة. وقلت للناس: تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه ؟ قالوا: بلى قلت فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة على خلقه ؟ فقالوا: القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، فما قال فيه من شيء كان حقا، فقلت لهم: من قيم القرآن؟ فقالوا ابن مسعود قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم، قلت: كله؟ قالوا: لا، فلم أجد أحدا يقال: إنه يعرف ذلك كله إلا عليا عليه السلام وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أن عليا عليه السلام كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأن ما قال في القرآن فهو حق، فقال: رحمك الله).

الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان

اسمه وكنيته وألقابه

محمد بن محمد بن النعمان المفيد، يكنى أبا عبد الله، المعروف بابن المعلم، ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، أمّا ألقابه.. فكان بعضها نَسَبيّ، وبعضها سكَنيّ، وبعضها علميّ. فما اشتهر منها: العُكبُريّ، والبغداديّ، والحارثيّ. ولكنّ الشهرة العلّمية هي «المفيد».

وسبب تلقيبه بالمفيد هو ان الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه حضر بقصد التتلمذ على يد: علي بن عيسى الرماني فدخل عليه والمجلس غاص بأهله، وقعد حتى انتهى به المجلس، فلما خف الناس قرب منه، فدخل على الرماني رجل فقال له بعد ان جلس: ما تقول في يوم الغدير والغار؟.

فقال الرماني: أما خبر الغار فدراية، وأما خبر الغدير فرواية، والرواية ما توجب ما توجبه الدراية، فانصرف البصري ولم يحر خطابا.

فقال المفيد رضي الله عنه: فقلت أيها الشيخ مسألة:فقال: هات مسألتك، فقال له الشيخ المفيد: ما تقول فيمن قاتل الإمام العادل؟ قال: يكون كافرا، ثم استدرك، فقال: فاسقا، فقال له المفيد: ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: إمام، قال: فما تقول في يوم الجمل وطلحة والزبير، فقال: تابا، فقلت: أما خبر الجمل فدراية، وأما خبر التوبة فرواية، فقال له: كنت حاضرا وقد سألني البصري؟ فقلت: نعم رواية برواية، ودراية بدراية، فقال الرماني: بمن تعرف وعلى من تقرأ، فقال له الشيخ المفيد: أعرف بابن المعلم، وأقرأ على الشيخ أبي عبد الله الجعل فكتب بيده رسالة إلى معلمه وقال له: أوصل هذه الرقعة إلى أبي عبد الله، فجاء بالرقعة إليه فقرأها، ولم يزل يضحك بينه وبين نفسه، ثم قال له: ماذا جرى لك في مجلسه، فقد أوصاني بك ولقبك بالمفيد.

وقيل ان الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الذي سماه بالمفيد.

كلمات قيلت في مدحه والثناء عليه

قال الشيخ النجاشي: (شيخنا وأستاذنا رضي الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه، والكلام، والرواية، والثقة، والعلم).

وذكره الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه بقوله: (من جملة متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدما في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب. وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار).

وقال ابن داود: (محمد بن محمد بن النعمان المفيد فقيه الطائفة وشيخها غير مدافع، أبو عبد الله، يعرف بابن المعلم شيخ متكلمي الإمامية وفقهائها، انتهت رياستهم إليه في وقته في العلم، فقيه حسن الخاطر دقيق الفطنة حاضر الجواب، وحاله أعظم من الثناء عليه، له قريب من مائتي مصنف).

وأثنى أبو حيان التوحيدي عليه بقوله: (وأما ابن المعلم فحسن اللسان والجدل صبور على الخصم كثير الحيلة ضنين السر جميل العلانية).

وقال الخطيب البغدادي المعروف بتشدده ضد مذهب اهل البيت وشيعتهم: (شيخ الرافضة والمتعلم على مذهبهم وصنف كتباً كثيرة).

وقال ابن حجر: (كان كثير التقشف والتخشع والاكباب على العلم وبرع في مقالات الإمامية حتى كان يقال له على كل امامي منة).

وقال اليافعي: (توفي سنة ثلاث عشر واربعمائة عالم الشيعة صاحب التصانيف الكثيرة شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم البارع في الكلام والفقه والجدل وكان يناظر كل عقيدة بالجلالة والعظمة ومقدماً في الدولة البويهية).

وقال ابن طي: (كان كثير الصدقات عظيم الخشوع كثير الصلاة حسن اللباس وكان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد وكان شيخاً ربعة نحيفاً اسمر).

وقال ابن النديم: (ابن المعلم أبو عبد الله في عصرنا انتهت إليه رئاسة متكلمي الشيعة مقدم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه دقيق الفطنة ماضي الخاطر شاهدته فرأيته بارعاً).

وفاته رضوان الله تعالى عليه

قال الشيخ الطوسيّ في الفهرست: (تُوفّي الشيخ المفيد لليلتين خَلَتا من شهر رمضان سنة ٤١٠ هجريّة. فيما ذكر النجاشيّ تاريخ وفاته سنة ٤١٣ هجريّة ووافقه عليه الشيخ المجلسيّ في بحار الأنوار.

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، حيث ازدحم الناس للصلاة عليه، وكثر البكاء عليه من قبل العوام والخواص. ذكر ابن كثير ذلك فقال: وكان يوم وفاته مشهوراً، شيّعه فيه ثمانون ألفاً من الشيعة. وصلّى عليه تلميذه الشريف المرتضى بميدان الأشنان في بغداد وكان دفنه في مقابر قريش بالقرب من ضريحَي الإمامين: موسى الكاظم ومحمّد الجواد عليهما السّلام عند الرِّجْلَين الشريفتين. وقبره اليوم واضح معلوم يُزار.

مناظرته لعمر بن الخطاب في عالم الرؤيا

روى الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن بنان، أن الشيخ المفيد رضي الله عنه قال: رأيت في النوم كأني قد اجتزت في بعض الطرق، فرأيت حلقة دائرة فيها ناس كثير. فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذه حلقة فيها رجل يقص. فقلت: من هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب. ففرقت الناس، ودخلت الحلقة، فإذا برجل يتكلم على الناس بشيء لم أحصله، فقطعت عليه الكلام، وقلت: أيها الشيخ أخبرني، ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق بن أبي قحافة في قول الله تعالى: «ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ »؟.

فقال: وجه الدلالة على فضل أبي بكر من هذه في ستة مواضع:

الأول: أن الله تعالى ذكر النبي صلى الله

عليه وآله، وذكر أبا بكر، فجعله ثانيه، فقال: «ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ».

الثاني: أنه وصفهما بالاجتماع في مكان واحد لتأليفه بينهما، فقال: «إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ».

الثالث: أنه أضافه إليه بذكر الصحبة، ليجمع بينهما فيما يقتضي الرتبة، فقال: «إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ».

الرابع: أنه أخبر عن شفقة النبي صلى الله عليه وآله عليه، ورفقه. به، لموضعه عنده، فقال: «لَا تَحۡزَنۡ ٱللَّهَ عَامًا الخامس: أنه أخبره أن الله معهما على حد سواء، ناصرا لهما، ودافعا عنهما، فقال: «إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ».

السادس: أنه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر، لأن الرسول لم تفارقه السكينة قط، فقال: «فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ». فهذه ستة مواضع تدل على فضل أبي بكر من آية الغار، لا يمكنك ولا لغيرك الطعن فيها.

فقلت له: لقد حررت كلامك هذا، واستقصيت البيان فيه، وأتيت بما لا يقدر أحد أن يزيد عليه في الاحتجاج، غير أني بعون الله وتوفيقه، سأجعل ما أتيت به كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. أما قولك: أن الله تعالى ذكره وذكر النبي صلى الله عليه وآله وجعل أبا بكر ثانيه، فهو إخبار عن العدد، ولعمري لقد كانا اثنين، فما في ذلك من الفضل، ونحن نعلم ضرورة أن مؤمنا وكافرا اثنان، كما نعلم أن مؤمنا ومؤمنا اثنان، فما أرى لك في ذكر العدد طائلا تعتد به.

وأما قولك: أنه وصفهما بالاجتماع في المكان، فإنه كالأول، لأن المكان يجمع المؤمنين والكفار، وأيضا فإن مسجد النبي صلى الله عليه وآله أشرف من الغار، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفار، وفي ذلك قول الله تعالى: «فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ».

وأيضا فإن سفينة نوح قد جمعت النبي، والشيطان، والبهيمة، والإنسان. فالمكان لا يدل على ما ادعيت من الفضيلة فبطل فضلان. وأما قولك: أنه أضافه إليه بذكر الصحبة، فإنه أضعف من الفضلين الأولين، لأن الصحبة تجمع المؤمن والكافر، والدليل على ذلك قول الله عز وجل: (قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا).

وأيضا فإن اسم الصحبة يقع بين العاقل وبين البهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم، فقال الله تعالى: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ » وقد سموا الحمار صاحبا فقالوا:

إن الحمار مع الحمار مطية

فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وأيضا فقد سموا السيف صاحبا، فقالوا في ذلك:

جاورت هندا وذاك اجتنابي

ومعي صاحب كتوم اللسان

يعني السيف. فإذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر، وبين العاقل وبين البهيمة، وبين الحيوان والجماد، فأي حجة لصاحبك؟!.

وأما قولك: أنه قال «لَا تَحۡزَنۡ » فإنه وبال عليه، ومنقصة ودليل على خطئه، لأن قوله: « لا تحزن » نهي، وصورة النهي قول القائل: (لا تفعل). فلا يخلو أن يكون الحزن وقع من أبي بكر على أحد وجهين: إما طاعة أو معصية، فإن كان طاعة فالنبي لا ينهى عنها، فدل على أنه معصية. فإن انتهى وإلا فقد شهدت الآية بعصيانه بدليل أنه نهاه.

وأما قولك أنه قال له: «إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا » فإن النبي صلى الله عليه وآله أخبر أن الله معه خاصة، وعبر عن نفسه بلفظ الجمع فقال: «مَعَنَا » كما عبر الله تعالى عن نفسه بلفظ الجمع فقال: « إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ». وقد قيل أيضا في هذا: أن أبا بكر قال: يا رسول الله حزني على أخيك علي بن أبي طالب ما كان منه. فقال له النبي: «لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ». أي: معي ومع أخي علي ابن أبي طالب.

وأما قولك أن السكينة نزلت على أبي بكر فإنه كفر بحت، لأن الذي نزلت عليه السكينة هو الذي أيده بالجنود كذا يشهد ظاهر القرآن في قوله تعالى: «فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا» فإن كان أبو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وهذا إخراج النبي عليه السلام من النبوة، على أن هذا الموضع لو كتمته على صاحبك كان خيرا له، لأن الله تعالى أنزل السكينة على النبي عليه السلام في موضعين، وكان معه قوم مؤمنون، فشركهم فيها، فقال في موضع: « ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا». وفي موضع آخر: (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ).

ولما كان في هذا اليوم خصه وحده بالسكينة، فقال: (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ). فلو كان معه في الموضع مؤمن لشركه معه في السكينة، كما شركه من قبله من المؤمنين...

قال الشيخ المفيد رحمه الله فلم يحر عمر بن الخطاب جوابا، وتفرق الناس، واستيقظت.



قلة الشهية عند الأطفال

الطفولة بهجة الحياة وإشراقه المستقبل نرعاها بأهداب العيون، ونحاول أن نوفر لها مناخاً سعيداً مفعماً بالسعادة والأمن والطمأنينة والثقة والكرامة. ومنظر كل منا إلى طفله فيراه اجمل الأطفال، ويمعن النظر فيه أكثر وبواقعية فيحلم أن يكون قوي الجسد، ممشوق القوام، يثير إعجاب الآخرين، وتنظر الأم إلى فم طفلها أكثر من مرة خلال النهار وتتساءل هل يأكل طفلي جيداً أم لا.

١. الصراع بين الأم وطفلها على مسألة الطعام

الحقيقة إن مسألة الغذاء مسألة لا يمكن أن نعرف لها قاعدة ما عند بعض الأمهات، إذ إن بعضهن ينظرن إلى طفلهن على أنه لا يأكل جيداً رغم أنه يأكل بشكل جيد، وقد ينظر آخر إليه على أنه يأكل جيداً رغم أنه سيء التغذية.

وتزداد شكوى الأم من شهية طفلها بعد إتمام العام الأول، فلقد أصبح يأكل أقل من القليل من الخبز واللحم والفاكهة، وفي كثير من الأحيان يرفض تناول أي صنف من الطعام ما عدا صنفاً واحداً لمدة أسبوع. ويتسلل القلق إلى نفسها رويداً رويداً خوفاً من أن يصاب طفلها بالمرض، لأن كمية الغذاء التي يتناولها غير كافية. ويزداد ضيق الأم عندما تعرف أن طفلها غير مريض، وأنه يلعب كثيراً، ويبذل مجهوداً كبيراً في الشقاوة، وليس عنده أي حساسية مرضية لأي نوع من الطعام ... ومع ذلك يرفض أن يتناول كمية الطعام المناسبة. ويزور الأسرة أحياناً قريب أو صديق ما ويقول للأم: «إن صحة طفلك ليست على ما يرام ولونه مخطوف قليلاً ... نحيف أكثر من اللازم»

وتزداد الأم ألماً وضيقاً وترى في هذه الملاحظات إهانة لها، لأنها تحاول تغذية الطفل لكنه يرفض تماماً وتفكر في ضربه . . ولكنها تعرف من خلال التجربة أن أسلوب الضرب غير مفيد ولن يزيد الطفل إلا عناداً.

وتبدأ الحرب مع الطفل إن جاز التعبير من أجل أن يأكل، وتستسلم له أحياناً كثيرة، وتلبي جميع المطالب من أجل إدخال الطعام إلى فمه، ولكن ذلك يضاعف من قدرة الطفل على العناد وعلى رفض الطعام، وتصبح المسالة هي الدوران في حلقة مفرغة تجري فيها الأم بالطعام وراء الطفل ويجري فيها الطفل مصراً على عناده ... ونتيجة لذلك نجد الآلاف من الأطفال يميلون إلى النحافة رغم أن ظروف اسرهم تتيح لهم تناول اجود ألوان الطعام.

وتنتشر هذه المشكلة بصورة اكبر في الأسرة التي تكون فيها ضعيفة الشهية للطعام منذ طفولتها ... فكما كانت جدة الطفل تعلق على صحة أمه، فالأم تعلق بدورها على صحة ابنها. وللتربويين رأي آخر إذ يرى هؤلاء انه لا جدوى من محاولات الإغراء التي تقوم بها الأم لتشجيع الطفل على تناول الطعام. ولا جدوى من القلق لأن التشجيع في ظل القلق يخلق حالة من العناد عند الطفل؟

لذلك على الأم أن تحاول جعل وقت تناول الطفل للطعام وقتاً سعيداً قدر الإمكان، وأن تقدم له ما يحب من أصناف الطعام، والانتباه إلى أي شعور يعتري ضيقاً أم سروراً فإن الطفل قادر على التقاطه والتأثر به.

٢. أسباب قلة شهية الطفل

ولكن لماذا تنخفض شهية الطفل في عامه الثاني؟ وتعد هذه الفترة من حياة الطفل من أكثر الفترات التي تظهر فيها مشكلة قلة الشهية، وذلك أن وزن الطفل لا يزيد بالمعدل الذي كان يزيد فيه من قبل. فالطفل في حالته الطبيعة يزيد وزنه بمعدل خمسمائة غرام شهرياً خلال العالم الثاني.

بهذا نستدل أن جسد الطفل خلال العام الأول يضع أمامه هدفاً رئيساً هو أن يزيد في الحجم والقوة، معتمداً في ذلك على التغذية الجيدة والنوم، ثم يقل معدل النمو الجسدي للطفل بعد أن يتم عامه الأول. ويزداد وعي الطفل في عامه الثاني، يرى العالم من حوله ويحاول التعرف عليه. يتعلم بعض الحركات والحروف وتظهر عنده الرغبة في تاكيد ذاته.

وهذه الأمور جملة تكون سبباً في عدم إقباله على الطعام بالشهية والمفتوحة ذاتها مثلما كان في عامه الأول. كما أن ظهور أسان الطفل يستغرق الشهور الأولى من عامه الثاني، ولابد أن تترك أثراً سلبياً على شهيه، وتظهر في هذه الفترة أربعة أضراس له وهي مسألة صعبة بالنسبة للطفل.

ولبعض المربين رأي آخر في الطفل الذي لديه مشكلة غذائية. إذ يرى هؤلاء أن الطفل يشبه أمه أثناء طفولتها. فقد تكون هي أيضاً لها مشاكل غذائية بخصوص الطعام أثناء طفولتها، فلربما كانت ترفض بعض أنواع الطعام مما كان يثير غضب أمها عليها. ويرون أيضاً أن الأمهات اللواتي كانت لهن مشاكل مع أسرهن بخصوص الطعام لا ينجحن عادة في حل هذه المشاكل مع أبنائهن.

بخصوص الطعام لا ينجحن عادة في حل هذه المشاكل مع أبنائهن.



ومن خلال معايشة الأم لطفلها تعرف تماماً أن الطفل يلتقط بإحساسه أي ضيق أو توتر أو سرور في إحساس أمه. وهذه القدرة على التقاط مشاعر أمه قد تجعله يرفض الطعام لأنه مر المذاق في فمه عندما تكون هناك مشاكل بينه وبينها. إن الأم الواعية تعرف من خلال تجربتها مع طفلها أن قابلية الطفل لأنواع الطعام يعتريها الكثير من التقلب سواء بالنسبة للخضراوات أو الألبان أو البقول أو اللحوم ... لكن غالبية الأطفال يحبون اللحوم والفاكهة. وعلى الأم أن تقدم اللحم للطفل مفروماً حتى يستطيع مضغه وبلعه، وتبقى عملية إكراه الطفل على أي صنف من أصناف الطعام التي لا يحبها عملية مصيرها الفشل.

٣. دور الأم في زيادة شهية الطفل

والمشكلة بحاجة لحل، والحل بسيط جداً إذا أدركت الأم أن العناصر المفيدة للجسم موجودة في أي طعام يحبه الطفل .. الفاكهة مناسبة للطفل، الخبز كذلك والحليب غذاء جيد. إن أي صنف يحبه الطفل إلى جانب الفيتامينات سيكون غذاءً جيدا، والاعتماد على صنف واحد من الطعام لن يكفل لجسم الطفل كل العناصر اللازمة لنموه ولكن هذا الطعام مفيد على أية حال.

ويرى بعض الأطباء المختصين بالأطفال أنه ليس من الضروري أن يصاب الطفل بالأمراض نتيجة لقلة شهيته، ولذلك ينصحون الأمهات بتقديم طعام للطفل يحبه على أن تسد الفيتامينات النقص الذي يسببه امتناع الطفل عن تناول بعض الأطعمة. كما أن مسألة البطء في زيادة الوزن هي مسألة طبيعية في العام الثاني من حياة الطفل، والعلاج الذي يمكن أن يساعد في حل مشكلة قلة الشهية عند بعض الأطفال هو ألا تضع الأم أمام طفلها أي أطعام لمدة أربعة شهور، إلا الألوان التي يحبها شريطة أن تكون مفيدة وشاملة لكل العناصر الضرورية.

والبداية هي أن تنظم قائمة بأصناف الطعام التي يحبها الطفل، وعليها ألا تقنع نفسها بأن طفلها يكره كل أنواع اللحوم لأنه من المؤكد أنه يحب بعض أنواعها، فقد يحب اللحم المفروم أو المسلوق .. أو المشوي..

والأم الواعية لا ترغم طفلها على تناول طعام يكرهه، ولا تنقل اتجاهاتها السلبية نحو بعض الأطعمة لطفلها، ولا تقدم الطعام للطفل إلا وهو جائع تماماً، وبإمكانها أن تفسح له المجال ليأكل بمفرده إذا كان يرغب بذلك، وتجعله يأكل مع مجموعة أطفال أو راشدين لتزداد شهيته نحو الطعام، أو تقدم له الطعام مرافقة للموسيقا أو بعض الحكايات التي يحبها أو مشاهدة التلفاز. والأهم من ذلك ألا تجره على ترك اللعب من أجل الطعام، وعليها قبل كل شيء أن تمنع عنه أنواع السكاكر والشوكولا والعصير قبل الطعام بساعتين على الأقل.

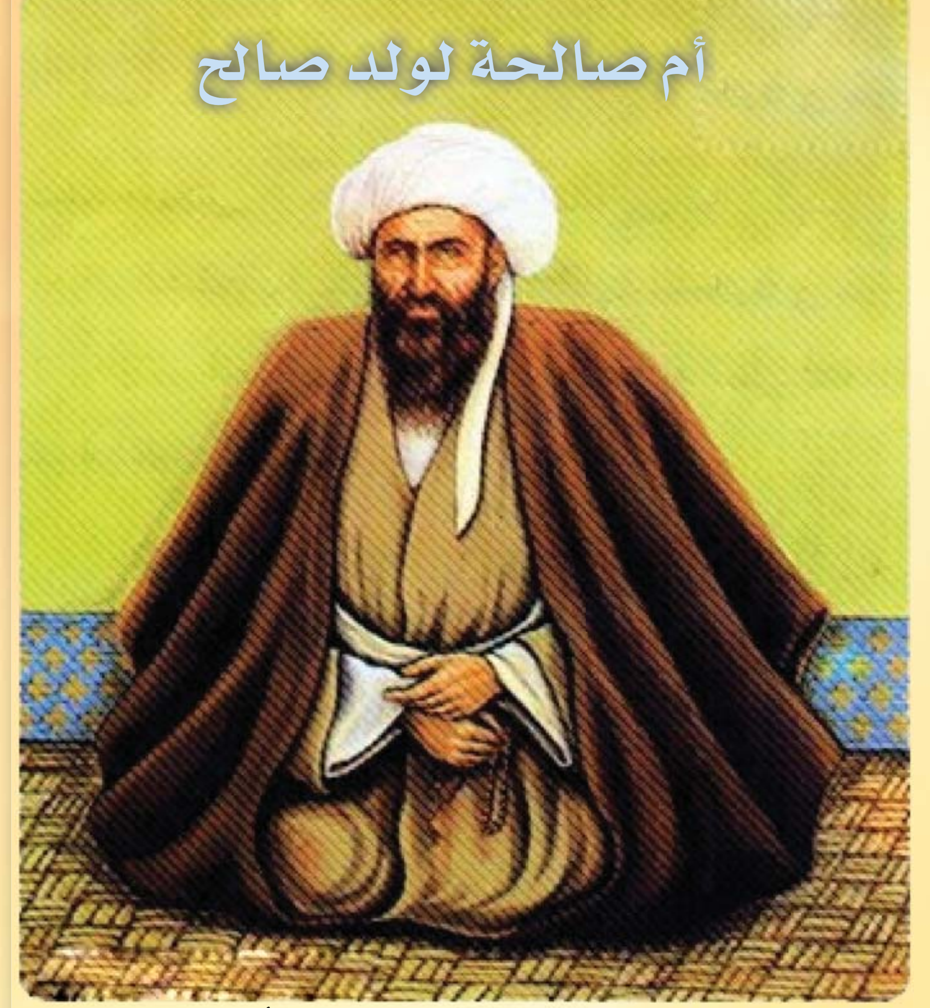
إن الغذاء شيء اساسي في حياة الطفل، فلنحاول قدر الإمكان تحقيق التوازن الغذائي وحل مشكلة قلة الشهية بقليل من العبر، والأسرة السعيدة والهادئة والمنظمة يكون تعرضها لمثل هذه المشكلة قليل جداً، وعلينا ألا ننسى النزهات القصيرة للطفل بين الحين والآخر فهي تساعد على فتح الشهية.

ويرى بعض الأطباء المختصين بالأطفال أنه ليس من الضروري أن يصاب الطفل بالأمراض نتيجة لقلة الشهية، ولذلك ينصحون الأمهات بتقديم طعام للطفل يحبه على أن تسد الفيتامينات النقص الذي يسببه امتناع الطفل عن تناول بعض الأطعمة، والبط في زيادة الوزن مسألة طبيعية في حياة الطفل بعامه الثاني[1].

---

(١) تربية الطفل مشكلات وحلول ـ د. سلوى مرتضى، ص٣٦ ـ ٤٠.





أم صالحة لولد صالح

رأت في المنام والدة الشيخ مرتضى الأنصاري ـ وهو من مراجع القرن الثاني عشر الهجري ـ ان الإمام الصادق عليه السلام أهدى لها قرآناً مذهباً! وكان تفسير هذه الرؤيا ان الله سيرزقها ولداً عالماً يروج لأحكام الله ويبلّغ لفقه أهل البيت عليهم السلام الذي أحياه الإمام الصادق عليه السلام، وهكذا أصبح ولدها الشيخ الأنصاري المرجع الأعلى للطائفة الشيعية في العالم.

ورد أنه بعد عودته من كل درس كان يمر على منزل والدته الصالحة ليلقي عليها السلام والتحية، يجلس عندها ويتحدث لها عن التاريخ الإسلامي والدين ويلاطفها بالقصص الفكاهية ذات المعاني الهادفة حتى يدخل السرور على قلب أمه التي عانت في حياتها كثيراً. ذات يوم خاطبها مازحاً وهو يذكّرها أيام زمان. هل تذكرين يا أمّاه يوم كنت أدرس المقدمات (العلوم الابتدائية الدينية)، كنت ترسليني لشراء حاجيات للطبخ وأنا أؤجل ذلك إلى انتهائي من دروسي، وأنتِ تغضبين عليّ وتقولين: أنا بلا خلف (يعني بلا ولد يعينها) فهل لا تزالين اليوم بلا خلف يا أمّاه؟

فترد عليه أمّه العجوز وهي مازحة أيضاً:

أجل... اليوم كذلك، أنا بلا معين! لأنك في تكل الأيام لم تكن تحضر حاجيات البيت، واليوم صرت شيئاً في هذه الدنيا، تحتاط في إعطائنا من بيت مال المسلمين، فلا زلت تجعلنا في ضيق!

وهذه الأم التي تحملت طول عمرها صعوبات الفقر.. ذات مرة فتحت لسان عتابها على ولدها المرجع الكبير قائلة: كم هي الأموال التي تبعثها إليك الشيعة من أطراف البلاد الإسلامية؟ فلماذا لا تساعد بها أخاك منصور... انّه محتاج ولا يكفيه ما بيده، أعطه قدر حاجته!

فنهض الشيخ مرتضى الأنصاري وقدّم إليها مفتاح الغرفة التي كان يحفظ فيها أموال المسلمين.. وهو يقول لها:

أي مقدار تريدين خذيه لابنك، ولكنّك مسؤولة أمام الله يوم القيامة!

كان الشيخ يعرف كيف يعالج عاطفة أمّه المؤمنة التي كانت تتألم من الفقر وتفكر عاطفياً لولدها منصور، ولقد استفاد الشيخ من شعورها الديني من دون أن يجرح قلبها الحنون. لذلك حصل الشيخ على الموقف الذي كان يتوقعه من أمّه التقية النقية والتي قالت له: أبداً لن أرمي بنفسي في مهالك يوم القيامة من أجل رفاه أيام لولدي، هيهات ذلك.

أثر الرضاعة بطهارة

قيل لوالدة الشيخ الأنصاري رحمه الله: ان ولدك بلغ درجة عالية من العلم والتقوى، ونال رتبة الزعامة الدينية العليا للشيعة في العالم.

فقالت: لا عجب فقد كنتُ أتمنى له درجة أعلى من ذلك، لأنني ما رضعتُه مرة إلا وأنا على وضوء، حتى في تلك الليالي والأيام الباردة القاسية أقوم أسبغ الوضوء ثم أرضعه وأنا على الطهارة. فلماذا لا يصبح اليوم (الشيخ الأنصاري)؟!

ولقد بكى المرجع الكبير آية الله العظمى الشيخ الأنصاري كثيراً عند وفاة أمه الصالحة حتى جاءه بعض أصحابه يحاولون منعه من البكاء الشديد، بل ربما لامه بعض منهم، فقال له الشيخ: «ان بكائي وأسفي ليس لأني فقد أمي، إنما لافتقادي نعمة عظيمة مثل هذه المخدرة الصالحة إذ بوجودها المبارك كان الله يدفع به البلاء عنّا».

وهكذا لا يأخذك العجب أيها القارئ كما أخذ بعضاً من مقربي هذا المرجع الكبير الذي امتدت زعامته الدينية أقصى بلاد المسلمين، فأينما كانت الشيعة، كانت زعامته ومرجعيّته لهم سائدة. فقد كان يأتي (كل أسبوع) إلى قبر أمّه المؤمنة (رحمة الله عليها)، فيجهش بالبكاء، فيقول له مرافقوه أيها المرجع: لا يجدر بك هذا البكاء على أمك، وأنت صاحب مقام كبير عند الناس؟!.

فيقول لهم: ان كان لي مقام كبير كما تقولون، فإنني حصلتُ عليه بفضل تربية أمّي، هذه المؤمنة بالله، الصابرة التي سهرت الليالي من أجلي ومستقبلي(١).

(١) قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين: ص٦٦ ـ ٦٨.



النسبية

سنة الاكتشاف ١٩٠٥م
ما هذا الاكتشاف؟
نظرية آينشتاين بأن المكان والزمان مندمجان ليكونا بنيان الكون والذي يعوج ويتشوه بفعل الجاذبية.
من المكتشف؟ ألبرت آينشتاين

لماذا يعد هذا الاكتشاف ضمن المائة العظمى؟

يعد ألبرت آينشتاين واحداً من ثلاثة أو أربعة علماء فقط في التاريخ ممن غيروا الطرق الأساسية التي ينظر بها البشر للكون. فقد غيرت النظرية النسبية لأينشتاين لب افتراضات الجنس البشري حول طبيعة الكون وموقع الأرض والبشر فيه.

التطورات التي شهدها القرن العشرون في المجالات التكنولوجية والعلمية والرياضية تدين بتأسيسها لهذا العالم المتواضع بشكل عميق وجوهري. لقد لامس حياتنا ربما أكثر من أي عالم آخر في التاريخ. ولكن طيلة السنين الستة والعشرين الأولى من حياته، لم يفكر أحد بأن لديه أية فرصة في دخول عالم العلم على الإطلاق.

كيف جاء هذا الاكتشاف؟

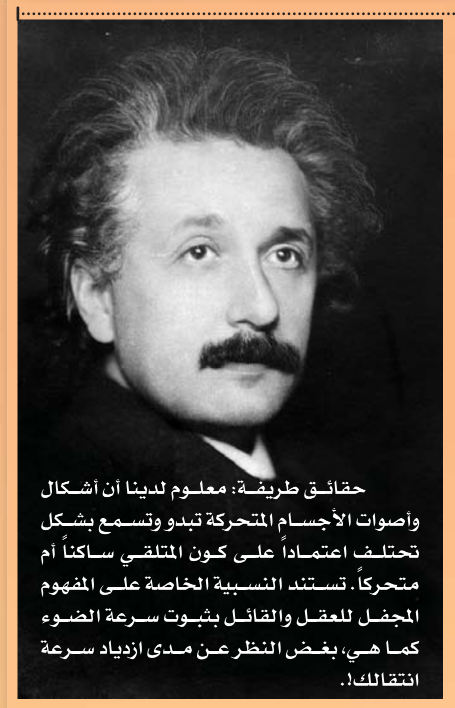
ناشئا في مدينة ميونخ بألمانيا، لم تبد على ألبرت آينشتاين أية إمارات العبقرية. فقد وصف بالطفل البليد الذي لا يجيد اللعب مع الأطفال الآخرين. أما معلمو قواعد اللغة فقد دعوه بالمشوش والمزعج. كانت النتيجة أن طرد آينشتاين من المدرسة بسن السادسة عشرة. فشجعه والده أن يتقدم للدخول في معهد التقنيات المتعددة بمدينة زيورخ السويسرية، وأن يتعلم صنعة أو تجارة يساعده فيها على إعالة أسرته. لكنه فشل في اختبار الدخول.

وأخيراً تأثر مدير المدرسة بقابليات آينشتاين الحسابية ورتب له لإنهاء دراسته الثانوية على مقربة من مدينة آرو السويسرية. وبعمر السابعة عشرة، انتقل ألبرت إلى مدينة زيوريخ. هناك أظهر بعض الفائدة في مواضيع الحساب والعلوم، ولكن تراكمت عليه العديد من التقارير والعقوبات التأديبية. فلقد كان حرا بآرائه دون أن يهمه كونها مؤذية أو مغيظة أم لا، فحصد عليها تقديرات سيئة من أساتذته، حتى أن أحدهم أسماه «الكلب الكسول» كان آينشتاين يأمل أن يعمل في سلك التدريس، ولكن لم تسعفه درجاته وتقديراته. أصابه الاشمئزاز فترك العلم وراءه وبدء بامتهان وظائف غريبة إعالة نفسه. وفي العام ١٩٠٢م، حظي بوظيفة كاتب في دائرة تسجيل براءات الاختراع السويسرية مهمته التحقيق في الصحة التقنية لطلبات التسجيل، فبدت له جميع الأبواب المؤدية إلى السلك العلمي موصدة بوجهه.

كان أثناء ركوبه لعربة في مدينة برن السويسرية في يوم من أيام ربيع عام ١٩٢٤م عندما ومضت الصورة لأول مرة في مخيلة ألبرت آينشتاين. كانت الصورة لرجل يركب مصعداً يهبط من ارتفاع كبير. فأدرك آينشتاين لفوره بأنه يمكن لصورة هذه «التجربة الذهنية» أن تنوه بمسألة لطالما قضت مضجعه «أسوة بغيره من العلماء» لسنوات عديدة.

علم آينشتاين بأن الرجل الذي في المصعد لم يكن يعرف هبوطه، لأنه لم يكن يهبط بالنسبة لمحيطه «المصعد». كما أنه لم يكن قادراً ـ مثلنا ـ على معرفة بأنه «و مصعده» مسحوبان بفعل مجال الجاذبية. ولو دخلت حزمة أفقية من الضوء خلال جانب المصعد فإنها كانت ستضرب الجدار البعيد على مستوى أعلى لأن المصعد كان سينزل لمستوى ادنى أثناء اختراق الحزمة لجداره. كان سيبدو للرجل وكأن حزمة الضوء قد انحنت للأعلى، بينما في منظورنا «بالنسبة إلينا» انحنت حزمة الضوء بفعل حقل الجاذبية. فالضوء لم يكن فقط غير قادر، بل كان من الروتيني له، أن ينحني بفعل حقول الجاذبية للنجوم والكواكب.

لقد كان ذلك مفهوماً ثورياً حرياً بأحد أعظم الأذهان العلمية في العالم. اعتاد آينشتاين اللجوء إلى هذه «التجارب الذهنية» التخيلية لتسليط الضوء على المسائل المعقدة للمبادئ العامة. كانت تلك طريقة جديدة وفريدة من نوعها لدراسة الفيزياء وقادت آينشتاين إلى النسبية الخاصة «المبادئ النسبية المطبقة على الأجسام المتحركة بسرعة ثابتة أو الساكنة».



حقائق طريفة: معلوم لدينا أن أشكال وأصوات الأجسام المتحركة تبدو وتسمع بشكل تحتلف اعتماداً على كون المتلقي ساكناً أم متحركاً. تستند النسبية الخاصة على المفهوم المجفل للعقل والقائل بثبوت سرعة الضوء كما هي، بغض النظر عن مدى ازدياد سرعة انتقالك!.

وشرعت المجلة المتأثرة بهذه النظرية الجديدة بنشر تقاريرها الأربعة على الفور وفي العدد ذاته. كما نشرت له جريدة أخرى موضوع العلاقة بين المادة والطاقة.

كانت لتقارير هذا الرياضي الهاوي تأثيراً عميقاً وسريعاً على المجتمع العلمي. فقبلت إحداها كأطروحة دكتوراه من قبل جامعة زيوريخ، التي منحت آينشتاين درجة الـ PhD، وأصبحت نظرياته محط أنظار جميع علماء الفيزياء في العالم.

في عام ١٩١٦م، وفي وقت كانت نار الحرب المستعرة تجتاح أوربا، نشر آينشتاين نظريته النسبية العامة، التي شرحت مفهوم النسبية المطبقة على الأجسام المتحركة بطرق أكثر تعقيداً وبتعجيل غير خطير فهلل له العالم أجمع[١].

---

١. حاز آينشتاين على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٢١م، لكن الغريب أن لم ينلها جزاء على تقديمه للنظرية النسبية، بل لعمله عام ١٩٠٥م على التأثير الكهروضوئي. بعد سنوات من النبش في أرشيف الرسائل والمذكرات الاسكندينافية، يؤكد روبرت مارك فريدمان «من جامعة أوسلو» أن ذلك كان تويبخا مقصوداً نابعاً من إرهاصات المناخ السياسي لأوربا ما بعد الحرب العالمية الأولى، فهو يقول أن لجنة نوبل لم ترغب لرجل «سياسي و راديكالي التفكير، لم يقم بأية تجارب علمية، أن يتوج كرمز من رموز الفيزياء العظام».

قصة أعظم ١٠٠ اكتشاف علمي على مر الزمن: كيندال هيفن، ص١٧٦ ـ ١٧٨.





صدر حديثاً عن وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام دراسة إسلامية معاصرة بعنوان دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي، ضمن جزئين.

ويأتي هذا الكتاب كمحاولة لنقل اليسير مما اختزنته مدرسة الدعاء في يوم عاشوراء من علوم ومعارف وحقائق عديدة الى القارئ الكريم، مشفوعاً ذلك بالكتاب العزيز والحديث الشريف والعلوم الأكاديمية الحديثة. فجاء الكتاب ضمن محورين:

المحور الأول: يرتكز على بيان الآثار الغيبية في دعائه يوم عاشوراء، والمحور الثاني: يرتكز على بيان ما تضمنته الأدعية من نظريات علمية في النفس والإجتماع والسلوك والقانون والأخلاق والتربية، والسياسة، فضلاً عن الخوض في المعارف العقائدية والفلسفية والمطارحات الثقافية المعاصرة.

